كتاب الاصوات الصفيرية

Book · November 2019

1 author:


Abdelkareem Gabal
Tanta University



الأصوات الصفيرية في القراءات القرآنية

الأستاذ الدكتور

عبد الكريم محمد حسن جبل

Editions Al-Adab 1923

42 Opera Square - Cairo Tel:(202) 23900868

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨

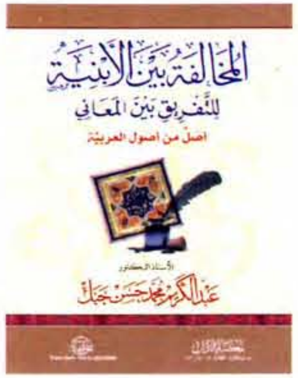
الأصوات الصفيرية في القراءات القرآنية

أ.د. عبد الكريم محمد حسن جبل

مكتبة الآداب

من إصدارات مكتبة الآداب

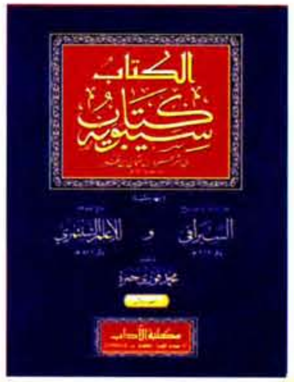


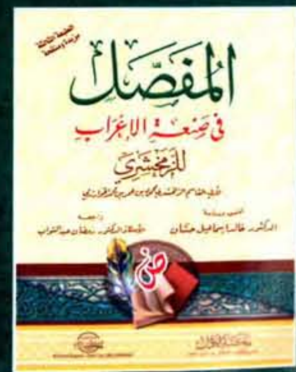


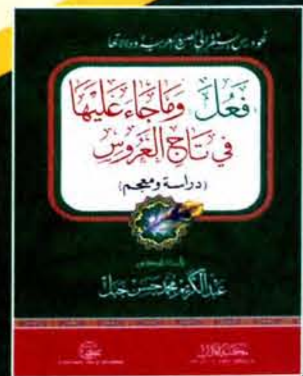


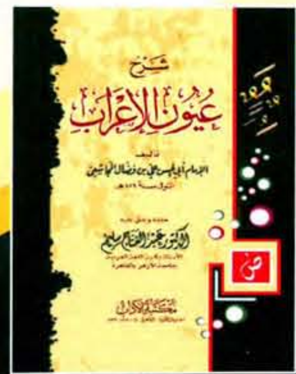












ISBN 978 977 468 829 4

9 789774 688294

تباع كتبنا لدى المكتبات الكبرى : دار المعارف - الأهرام - الأخبار

روزاليوسف - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الجمهورية

ودار الأمل للكتاب ٢٨ شارع الدقي ت : ٣٣٣٥٩٧١٩

الأصوات الصفيرية في القراءات القرآنية

الأستاذ الدكتور

عبد الكريم محمد حسن جبل

أستاذ العلوم اللغوية

كلية الآداب - جامعة طنطا

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

Editions Al-Adab ١٩٢٣

42 Opera square - Cairo – Egypt

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨

البريد الإلكتروني e.mail: adabook@hotmail.com

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

جبل، عبد الكريم محمد حسن.

الأصوات الصفيرية فى القراءات القرآنية /

عبد الكريم محمد حسن جبل. – القاهرة:

مكتبة الآداب، ٢٠١٥.

ص، ٢٤ سم.

تدمك: ٤ ٨٢٩ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - القرآن - القراءات

أ - العنوان

٢٢٨

رقم الإيداع: ٢٧١٥٢ لسنة ٢٠١٥

الترقيم الدولي: I.S.B.N: 978 977 468 829 4

الناشر

مكتبة الآداب

على حسن

٤٢ ميدان الأوبرا – القاهرة ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨

e.mail:adabook@hotmail.com

فهرس الموضوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا ومولانا مُحَمَّد، وعلى آله، وصَحْبه، وجدِّه أبي الأنبياء إبراهيم، وبعد،،

فإن هذا البحث معنيٌّ بالدرس الصوتي التحليلي، لظاهرتين صوتيتين تشكيليتين (= فونولوجيتين)، في طائفة من أصوات العربية، في مَجْلَى خاص من مجالي الكلام العربي الفصيح. فأما الظاهرتان، فـ«الإبدال»، و«الإشمام»، وأما الطائفة، فما اصطُلح على وسْمه بـ«الأصوات الصفيرية» (ص – س – ز)، وأما المَجْلَى، فـ«القراءات القرآنية» صحيحةً وشاذة.

ولهذا الضرب من الدرس أهميته العلمية والتاريخية، من حيث كشفُه عن جوانب من الخصائص الصوتية (التشكيلية) للعربية، وللسياقات التي تشترطها بعضُ تلك الخصائص، والتفسير المحتمل لتحققها... وذلك من خلال رَصْد جهود أئمتنا في هذا الصدد، ثم عَرْض تلك الجهود على ما أجدَّه الدرسُ الصوتيّ المعاصر.

وقد تلَّى البحثُ مادتَه الأساسية- أعْني المواضع التي تعرضتْ فيها الأصواتُ الصفيرية لهاتين الظاهرتين الصوتيتين (الإبدال- الإشمام)- عن طريق استقراء معجمٍ استقرى- بدوره – القراءاتِ القرآنيةِ صحيحةً وشاذةً من مصادرها الأساسية، وهو «معجم القراءات القرآنية» الذي صنّفه د. أحمد مختار عمر - برّد الله ثراه- ود. عبد العال سالم مكرم[1]. ثم تلا ذلك

---

(١) سيأتي التعريف الموجز بهذا المعجم في نهاية تمهيد البحث، إن شاء الله تعالى.

تـصنيفُ تلـك المـادة ودراسـتُها دراسـة صـوتية تحليليـة توزَّعهـا مبحثـان أساسيان:

فأما المبحث الأساسي الأول، فجـاء بعنـوان: «الإبـدال في الأصـوات الصفيرية». وقد تناولتُ فيه صور الإبدال التي وقعتْ للأصوات الصفيرية، مُفرِدًا لكل صورة من هذه الـصور مبحثًـا فرعيًّـا: فـاختُصّ الفرعـي الأول بـ«إبدال السين صادًا»، والثاني بـ«إبدال السين زايًـا»، والثالـث بــ«إبـدال السين تاءً». وأما المبحث الأساسي الثـاني، فجـاء بعنـوان «الإشـمام: إشـمام الصاد زايًا»، وقد قدّمتُ له ببيان مفهوم مصطلح «الإشمام»، وتوقّفتُ عنـد ما يتعلّق من ذلك بالأصوات الصفيرية، وهو إشمام الصاد زايًـا. ثـم تـوزَّع ذلك مبحثـان فرعيـان، حَـسَبَ توجيـه أئمتنـا لحـصول هـذا الـضرب مـن الإشمام: فاختُصّ الفرعيُّ الأول بـ«إشـمام الـصاد زايًـا في مجـاورة الطـاء»، والثاني: بـ«إشمام الصاد زايًا في مجاورة الدال».

وقد تضمَّن كلٌّ من هذين المبحثين معالجةً تحليلية لأمثلته القرآنية التي وقف عليها البحثُ بطريق الاستقراء. وتناولت هذه المعالجةُ- فيما تناولت- مجملَ القراءات الواردة في هذه الأمثلة، مع عَزْوها إلى القارئين بها، ثم رَصْـد التوجيه الصوتيّ الذي قدّمه قدامانا لهذه القراءات، مما اشتملتْ عليـه بعـض مصنفات توجيه القـراءات، وكتـب التفـسير ومعـاني القـرآن الكـريم. كـما تضمنت تلك المعالجةُ جوانبَ دلاليةً، اقتضاها البحثُ في تعيين أصل بعـض الاستعمالات القرآنية محلِّ القراءة بالإبدال.

وقد قفَّيتُ على كل مبحث أساسيّ من هذين بـ«تعقيب» تناولتُ فيـه -فـيما تناولــت – المعالجـة الـصوتية الحديثـة لتكـوُّن ظـاهرتي «الإبـدال»

و«الإشمام»، في أمثلتهما القرآنية الواردة بالبحث. وكذا التعليق على السياق الصوتي الذي قيّد به قدامانا تحقُّق هاتين الظاهرتين.

وأما «تمهيد» البحث – وقد سبق مبحثيه الأساسيين – فقد خُصِّص لتعيين الأصوات الموسومة بـ«الصفيرية»، والعلة في وَسْمها بذلك، مع بيان للصفات الصوتية – أو الملامح التمييزية **distinctive features** – لكلٍّ من هذه الأصوات. كما تضمن التمهيد في نهايته تنويهًا جِدّ موجز بما للقراءات القرآنية (مَجْلَى تحقُّق الظاهرتين موضعي الدَّرْس) من أهمية للدرس اللغوي، بقسميْها المقررين: الصحيحة، والشاذة. وكذا تضمَّن التمهيد تعريفًا موجزًا بـ«معجم القراءات القرآنية»: مصدرِ استقراء مادة البحث.

وأما «خاتمة» البحث، فقد تضمنت عرضًا لأهم مستخلصاته، وقد بلغت العشرين. أسأل الله – تعالى – التوفيق، والقبول.

﴿رَبَّنَا آَتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

طنطا في ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م

أ. د. عبد الكريم محمد جبل

أستاذ العلوم اللغوية

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب – جامعة طنطا

Kariimgabal@hotmail.com

أ- الأصوات الصفيرية

(تعيينها - مفهومها - ملامحها التمييزية-

سبيل استقرائها من القراءات القرآنية)

لم يعرض سيبويه (ت ١٨٠هـ) لمصطلح «الصفيرية» حين جعل يعدِّد صفات الأصوات (المجهورة - المهموسة...)، ويحدّد مفاهيمها، ويعيِّن الأصوات المتصفة بكلٍّ منها. وإنما عرض لهذا المصطلح في أثناء الباب (الفرعي) الذي عنون له بـ«هذا باب الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا»[١]؛وذلك في قوله: «وأما الصاد والسين والزاي، فلا تُدغمهنّ في هذه الحروف التي أُدغمت فيهنّ؛ لأنهن حروف الصفير، وهنّ أَنْدى في السمع»[٢].

فالأصوات الصفيرية في تصنيف سيبويه إذن، هي أصوات: الصاد والسين والزاي. وقد تابعه في وصف هذه الأصوات بالصفيرية جمهرة اللغويين، وعلماء التجويد والقراءات؛ يقول ابن جني (ت ٣٩٢هـ) -مثلاً-:

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٦٠.

(٢) الكتاب ٤/ ٤٦٤. وبهذا يتضح عدم دقة قول د. غانم قدوري الحمد: «لم يذكر سيبويه هذه الصفة [يقصد: الصفير] وكذلك فعل ابن جني في (سر صناعة الإعراب). وأقدمُ مَنْ ذكرها، مما اطّلعتُ عليه من المصادر، هو المبرِّد، فقد قال في (المقتضب): ومن طرف اللسان وملتقى حروف الثنايا حروفُ الصفير... وهي السين والصاد والزاي» (الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٣١٤). كما عرض ابن جني لهذه الصفة أيضًا، على خلاف ما يقرر الحكم السابق (ينظر: سر صناعة الإعراب٢/ ٨١٧).

«وحروف الصفير، وهي الصاد والسين والزاي...»[1]. ويقول الإمام أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ): «وحروف الصفير ثلاثة: الصاد والزاي والسين»[2].

وأما الأصوات الصفيرية في الدرس الصوتي الحديث، فتأخذ مصطلح sibilant، وتشمل - فضلًا عن السين والزاي والصاد- أصواتًا احتكاكية fricatives أخرى، كالصوتين [ʃ] و [ʒ] اللذين تنتهي بهما الكلمتان rouge-rush [3]، وهما يقابلان صوت الشين، وصوت الجيم الرخوة

---

(١) سر الصناعة ٢/ ٨١٧. وينظر – كذلك: المبرد: المقتضب ١/ ٣٢٩، وابن يعيش: شرح المفصل ١٠/ ١٣٠، وابن عصفور: الممتع ٢/ ٧٠٦- ٧٠٧.

(٢) التحديد في الإتقان ص٢٢٩. وينظر- كذلك: مكي بن أبي طالب: الرعاية لتجويد القراءة ص١٢٤، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح في التجويد ص٩٧، وعبد الدائم الأزهري: الطِّرازات المُعْلَمة في شرح المقدِّمة ص١١٩، ومُلّا علي القاري: المنح الفكرية (شرح المقدمة الجزرية) ص١٨، وساجُقْلي زاده: جهد المُقِلّ في تجويد القرآن العظيم ص٧١- ٧٢.

(٣) وينظر:

- **Lehmann, Descriptive Linguistics, p. 62.**
- **Poole, An Introduction to Linguistics, p. 46.**
- **Crystal, A Dictionary of Linguistics and Phonetics, pp. 349- 350.**

ود. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٧٥ (ذكر أن الأصوات الصفيرية تجمع كل الأصوات التي تُحدث لدى نطقها حفيفًا عاليًا، أو منخفضًا، وهي: ث، ذ، ز، س، ش، ص، ظ، ف)، ود. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص١١٨، ود. سمير إستيتية: الأصوات اللغوية ص١٥٨.

الشائعة في بلاد الشام[1]، غير أن أصوات السين، والزاي، والصاد، هي أعلى تلك الأصوات صفيرًا «مما يمكن أن يبرّر تسميتَها في كتب القدماء بأصوات الصفير، وقَصْر هذه الصفة عليها»[2].

والسبب في تلقيب هذه الأصوات بـ«الصفيرية» هو حصول صوت يشبه الصفير[3]، أو الهسهسة hissing noise[4]، عند النطق بكلٍّ منها؛ يقول الإمام أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ): «سُميت بذلك؛ لأنك تسمع فيها شبهًا بالصفير عند إخراجها من مواضعها»[5]، ويقول الشيخ محمد مكي نصر: «وإنما سُميت بحروف الصفير لأنك إذا قلت: أص.. أز.. أس.. سمعتَ لهنّ صوتًا يشبه صفير الطائر»[6].

(١) تتميز هذه الجيم بأنها كثيرة التعطيش، وتعد النظير المجهور لصوت الشين، على نحو ما ننطق- نحن المصريين – كلمة «مشغول» في دارج كلامنا (ينظر: د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٧٨، ود. تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص١٢٩، ود. كمال بشر: علم الأصوات ص٣٣٤- ٣٣٥، ود. محمد جبل: المختصر في أصوات اللغة العربية ١٠١).

(٢) د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٧٥. وينظر كذلك:

Atkinson (et al), Foundations of General Linguistics, pp. 78-79.

(٣) جاء في اللسان(ص ف ر) ٤/ ٢٤٦٠: «الصفير: من الصوت بالدواب إذا سُقيت... وصَفَر بالحمار وصفّر: دعاه إلى الماء». وفي «المفردات» للراغب الأصفهاني (٤٨٧): «وقد يقال الصفير للصوت، حكايةً لما يُسمَع».

(٤) ينظر: كانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٧٢.

(٥) التحديد في الإتقان ص٢٢٩.

(٦) نهاية القول المفيد ص٥٣. وينظر – كذلك: مكي: الرعاية ص١٢٤، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ص ٩٧، وعبد الدائم الأزهري: الطرازات المعلمة ص١١٩، ومُلّا علي القاري: المنح الفكرية ص١٨.

وحصول هذا الصفير، أو الصوت الهسيسيّ **hissing**، مسبَّب عن تسرُّب هواء النَّفَس لدى النطق بهذه الأصوات، من منفذ جِدّ ضيِّق، يقع بين طرف اللسان المستدِقّ (أَسَلَته) من جانب، والثنايا العليا (أو لثتها) من جانب آخر[1]. يقول الخليل (ت١٧٠هـ): «والصاد والسين والزاي أَسَلية؛ لأن مبدأها من أَسَلَة اللسان، وهي مستدَقّ طرف اللسان»[2]. ويقول سيبويه (ت ١٨٠هـ): «ومما بين طرف اللسان وفُوَيق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد»[3]. وعبارة الإمام الداني (ت ٤٤٤هـ): «والصاد والسين والزاي من مخرج واحد، وهو الفُرْجة التي بين طرف اللسان والثنايا العليا»[4]. كما وصف المبرِّد (ت ٢٨٥هـ) هذه الأصوات بأنها «تنسلّ انسلالاً»[5].

وبسبب من هيئة النطق هذه، تتميز هذه الأصواتُ بأنها «من ذوات التردد العالي»[6] ؛ مما يُكسب جرسَ كلٍّ منها- وبخاصة السين- أثرًا سمعيًا

(١) ينظر: د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٧٥، ود. محمد جبل: المختصر في أصوات اللغة العربية ص١٢٨، ود. سمير إستيتية: الأصوات اللغوية ص١٥٨. وينظر- كذلك ابن سينا: أسباب حدوث الحروف ص٧٧، و **Atkinson (et al), Foundations of General Linguistics, p. 78.**

(٢) العين ١/ ٥٨.

(٣) الكتاب ٤/ ٤٣٣. وينظر- كذلك: الزجاجي: الجمل في النحو ص٤١١، وابن جني: سر الصناعة ١/ ٤٧، وابن يعيش: شرح المفصل ١٠/ ١٣٠.

(٤) التحديد في الإتقان ص٢٢٢. وينظر- كذلك: مكي: الرعاية ص١٤٠، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ص٧٩.

(٥) المقتضب ١/ ٣٢٩.

(٦) د. سمير إستيتية: الأصوات اللغوية ص١٥٨. وينظر: **Pool, An Introduction to Linguistics, p. 46.**

حادًا[1]. وهذا مما نوّه به سيبويه (ت ١٨٠هـ) من قبل، حين وصف تلك الأصوات بأنها «أندى في السمع»[2]. كما وصف مكيّ بن أبي طالب صفيرها بأنك «تسمع له حسًّا ظاهرًا في السمع»[3].

وأما الملامح التمييزية **distinctive features** التي تمتلكها هذه الأصوات، فيمكن إجمالها فيما يأتي[4]:

---

(١) ينظر: د. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص٤٣ (فيه أن الضجة المميزة لصوت السين تحتوي على أعلى الترددات: من ٨٠٠٠ إلى ٩٠٠٠ دورة في الثانية. وينظر كذلك: **Atkinson (et al), Foundations of General Linguistics, p.79.** (فيه أن تردد صوت /s/ في الإنجليزية يتراوح بين ٣.٦٠٠ إلى ٨٠٠٠ دورة في الثانية).

(٢) الكتاب ٤/ ٤٦٤. وفي اللسان (ندى) ٦/ ٤٣٨٨: «النداء... الدعاء برفع الصوت... وفلان أندى صوتًا من فلان، أي: أبعد مذهبًا وأرفع صوتًا».

(٣) الرعاية ص٢١٢.

(٤) ينظر: في ذلك من مصادرنا التراثية (الملامح الخمسة الأخيرة خاصة): الكتاب ٤/ ٤٣٦- ٤٣٨، والمبرد: المقتضب ١/ ٣٣١، وابن جني: سر الصناعة ١٠/ ٦٠- ٦١، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٩، وابن يعيش: شرح المفصَّل ١٠/ ١٢٤، ١٢٨- ١٣٠، وابن عصفور: الممتع ٢/ ٦٧١- ٦٧٢، ومن المصادر الحديثة: د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٧٦- ٧٧، ود. كمال بشر: علم الأصوات ص٣٠١- ٣٠٢، ود. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص٣١٦، ٣٢٤- ود. رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ص٤٦- ٤٧، ود.محمد حسن جبل: المختصر ص١٢٨، و **Al ani, Arabic Phonology**، وكانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٧٢- ٧٣، وينظر في الملمحين الأولين خاصة: د. سمير إستيتية: الأصوات اللغوية ٨٤- ٨٨.

ز

/z/

• رئوي(١)	pulmonic
• خارجي	egressive
• صامت	consonant
• أسلي – لثوي	apico- alveolar
• استمراري/ احتكاكي (رخو)	continuant
• مجهور	voiced
• صفيري	sibilant
• مستفل	
• منفتح } مرقّق	non- velarized

(١) يشير الملمحان الأولان إلى آلية النطق بهذه الأصوات، حيث تكون الرئتان (pulmonic) مصدرًا للهواء المتجه إلى الخارج (egressive) حال النطق بها (ينظر: Ladefoged, A Course in Phonetics, P. 119- 129 ود. سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام ص١٩٩)، ويشير الملمح الثالث (صامت) إلى ما يصحب نطق هذه الأصوات من حصول اعتراض (بالتضييق هاهنا) لتيار الهواء، والملمح الرابع (أسلي- لثوي) إلى موضع نطقها (اقتراب أسلة اللسان من لثة الثنايا اقترابًا شديدًا)، والخامس (استمراري/ رخو) إلى استمرار تدفق الهواء في تجويف الفم حال النطق بها، والسادس (مجهور) إلى تذبذب الوترين الصوتيين مع صوت الزاي، مقابل «همس» السين والصاد، أي عدم تذبذبهما معهما. (الشأن في تحديد مفاهيم الملامح السابقة متعالم مشهور. ينظر في تلخيص ذلك من المصادر الحديثة مثلًا: Davenport (et al), Introducing Phonetics and Phonology, pp. 96- 103)، ود. محمد حسن عبد العزيز: مدخل إلى اللغة ٦٩ – ٧٣، ود. كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة ص١٥٨ – ١٦٣). وأما الملمح قبل الأخير ، فيتعلق بوضع أقصى اللسان: ارتفاعًا (مستعل) أو انخفاضًا (مستفل). في حين يتعلق الملمح الأخير بوضع مؤخر اللسان وكذا طرفه: ارتفاعًا (مستعل)، أو انخفاضًا (منفتح) حال النطق بهذه الأصوات، على ما هو متعالم مشهور في شأن مفاهيم هذه المصطلحات. (ينظر مثلاً: د. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة ص٤٢ – ٤٣، ٥٧ – ٥٨، ود. كمال بشر: علم الأصوات ص٣٩٧ – ٤٠٠، ود. كريم زكي حسام الدين: أصوات تراثية في علم اللغة ص١٦٤ – ١٦٥، ود. محمد حسن جبل: المختصر في أصوات اللغة العربية ص٦٣-٦٤).

س
/s/

- رئوى
- خارجي
- صامت
- أسلي – لثوي
- استمراري
- مهموس — unvoiced
- صفيري
- مستفل } مرقــق
- منفتح

ص
/ṣ/

- رئوي
- خارجي
- صامت
- أسلي – لثوي
- استمراري
- مهموس — unvoiced
- صفيري
- مستعلٍ } مفخم — velarized
- مطبق

يتبين مما سبق:

- أن ملمح «الجهر» هو الملمح الفارق بين صوتي الزاي والسين: تحقُّقًا في الزاي، وإعوازًا في السين؛ يقول مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ): «ولولا الهمس الذي في السين لكانت زايًا، وكذلك لولا الجهر الذي في الزاي لكانت سينًا»(١).
- أن ملمح «التفخيم» هو الملمح الفارق بين صوتي الصاد والسين: تحقُّقًا في الصاد، وإعوازًا في السين؛ يقول سيبويه (ت ١٨٠هـ): «ولولا الإطباق [= التفخيم] لصارت... الصاد سينًا»(٢)، ويقول في موضع آخر: «وهي [أي الصاد] من السين كالطاء من الدال؛ لأنها مهموسة مثلها، وليس يفرق بينهما إلا الإطباق»(٣).

فهذه الأصوات الصفيرية – بعد– هي محور اهتمام هذا البحث، من حيث اثنان من التغيرات الصوتية التشكيلية (أو الفونولوجية phonological changes) اللذان تعرَّضتْ لهما هذه الأصوات، في القراءات القرآنية، وهذان هما: «الإبدال»، و«الإشمام». وقد أُفرد لكلٍّ مبحث مستقلّ.

---

(١) الرعاية ص٢١١. وينظر كذلك: عبد الوهاب القرطبي: الموضح في التجويد ص١١٢.

(٢) الكتاب ٤/ ٤٣٦.

(٣) الكتاب ٤/ ٤٦١. وينظر كذلك: مكي: الرعاية ص٢١١، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ص١١٢، وابن عصفور: الممتع ٢/ ٦٧٤. (ويلاحظ أن الطاء التي يعنيها سيبويه هي الطاء المجهورة المشبهة للضاد المصرية المعاصرة، ولذا عدّها النظير المفخم للدال. وإلا فإن الطاء المعاصرة هي النظير المفخم للتاء).

هذا، وأهمية القراءات القرآنية للدرس اللغوي هو مما لا يحتاج إلى فضل بيان وتفصيل. وذلك من حيث تمثيلها الموثَّق لخصائص العربية، بلهجاتها المتعددة، في أنظمتها الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية، بحيث يمكن النظر – إجمالًا وبحق – إلى هذه القراءات على أنها «المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللغويَّ الذي كان سائدًا في شبه الجزيرة قبل الإسلام»[1].

وللقراءات القرآنية انقسامٌ معروف إلى قراءات صحيحة، وأخرى شاذة، حَسَبَ معايير انتهى إليها أئمة علم القراءات، عبر مراحل نشأة هذا العلم وتطوره. وقد لخّص الإمام ابن الجزريّ (ت ٨٣٣هـ) ما آلت إليه تلك المعايير في قوله: «وكل قراءة (أ) وافقتِ العربيةَ ولو بوجه، و(ب) وافقتْ أحدَ المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، و(ج) صحَّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردُّها، ولا يحلّ إنكارُها... ومتى اختلّ ركن من هذه الأركان الثلاثة أُطلق عليها ضعيفة أو شاذة... هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السَّلف والخَلَف»[2]. وإجمالاً، فقد استأثرتِ القراءاتُ العشر (السبع والثلاث المكملات لها) بوصف «الصحة»، وشُذِّذ ما عداها (القراءات الأربع الباقية)[3].

---

(١) د. عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص٨٣.

(٢) النشر ١/ ٩. وينظر: كذلك: كتابه: منجد المقرئين ص١٥-١٧، ومكي: الإبانة عن معاني القراءات ص١٨ - ١٩.

(٣) ينظر: ابن الجزري: منجد المقرئين ص١٦ (النص فيه: والصحيح أن ما وراء العشر فهو شاذ). وأصحاب القراءات السبع هم: ابن عامر (الشامي/ ت ١١٨ هـ)، وابن كثير ==

ويشمل بحثنا هذا القراءاتِ القرآنيةَ بنوعيها المذكورين. فالقراءات الشاذة، وإن كان المرجّح عدم جواز القراءة بها في الصلاة، فإنه لا خلاف على «حجّيتها» في مجال الدرس اللغويّ. يقول الإمام السيوطي (ت٩١١هـ): «أما القرآن، فكل ما ورد أنه قُرِئ به جاز الاحتجاجُ به في العربية، سواء كان متواترًا، أم آحادًا، أم شاذًّا. وقد أطبق الناسُ على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسًا معروفًا، بل ولو خالفتْه يُحتجّ بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يَجُز القياسُ عليه»[1].

== (المكي/ ت١٢٠هـ)، وعاصم (الكوفي/ ت ١٢٩هـ)، ونافع (المدني/ ت ١٦٩هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (البصري ت ١٥٤هـ)، وحمزة (الكوفي/ ت ١٥٦هـ)، والكسائي (الكوفي/ ١٨٩هـ). وأصحاب القراءات الثلاث المكملة للعشر هم: أبو جعفر (المدني/ ت ٢٠٣هـ)، ويعقوب (الحضرمي البصري/ ت ٢٠٥هـ)، وخلف (الكوفي/ ٢٢٩هـ). وأما أصحاب القراءات الأربع الشاذة، فهم: ابن مُحَيْصِن (المكي/ ت ١٢٣هـ)، والحسن البصري (ت ١١٠هـ)، والأعمش (الكوفي/ ت ١٤٨هـ)، واليزيدي (يحي بن المبارك البصري/ ت ٢٠٢هـ). ولكل من هؤلاء القراء الأربعة عشر تراجم وافية في كتب تراجم القراء، ككتاب «غاية النهاية» لابن الجزري، و«معرفة القراء الكبار» لشمس الدين الذهبي، فضلاً عن تراجمهم الموجزة الموجودة في مقدمات بعض كتب القراءات، ككتاب «الإقناع في القراءات السبع» لابن الباذش.

(١) الاقتراح في علم أصول النحو ص٣٦. وينظر: كذلك ابن جني: المحتسب ١/ ٣٢-٣٤، ود. عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص٨٨، ود. رمضان عبدالتواب: فصول في فقه العربية ص٩٧، وسعيد الأفغاني: في أصول النحو ص٢٩ (فيه: «والقراءة الشاذّة التي منع القرّاء قراءتها في التلاوة يُحتجّ بها في اللغة والنحو؛ إذ هي على كل حال أقوى سندًا، وأصحّ نقلًا، من كل ما احتَج به العلماءُ من الكلام العربي غير القرآن. ولئن كان القرّاء أسقطوا القراءة بها لعدم وثوقهم أنها قراءة النبي نفسه، إن على علماء اللغة أن يعضوا ==

وحتى أحصر المواضع التي أُبدلت فيها الأصوات الصفيرية، أو أُشِمَّتْ، في القراءات القرآنية (صحيحها وشاذها)، فقد استقريت مواضع ذلك في «معجم القراءات القرآنية» الذي تضمَّن – بدوره- استقراءً للقراءات القرآنية (الصحيحة والشاذة) الواردة في عشرين مصدرًا تمثّل المصادر الأساسية للقراءات القرآنية(١).

وقد نهض على تصنيف هذا المعجم، في ثمانية أجزاء، د. أحمد مختار عمر –رحمه الله– ود. عبد العال سالم مكرم، وقامت على طبعه جامعة الكويت(١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

وهاكم – بعد- تفصيل القول في مبحثي الدراسة الأساسيين:

== عليها بالنواجذ؛ إذ كان رواتها الأعلون عربًا فصحاء، سليمة سلائقهم، تُبنى على أفواههم قواعد العربية».

(١) ينظر المسرد المتضمن لهذه المصادر العشرين في مقدمة هذا المعجم (جـ١/ ن). ومنها: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، و«التيسير» لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، و«النشر» لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، و«إتحاف فضلاء البشر» للبنا الدمياطي (ت ١١١٧هـ). فضلاً عن مصنفات توجيه القراءات، كـ«الحجة في القراءات السبع» لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، والمحتسب لابن جني(ت ٣٩٢هـ).. إلى عدد آخر من كتب التفسير ومعاني القرآن، كتفسير الطبري (ت ٣١٠هـ)، وتفسير القرطبي (ت ٦٧١هـ)، و«معاني القرآن» للفراء (ت ٢٠٧هـ)، وغيرها .

١ - الإبدال في الأصوات الصفيرية

قال ابن جني (ت ٣٩٢هـ): «والبَدَلُ: أن يقام حرف مقام حـرف»[١]، وعبارة ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ): «البَدَلُ: أن تُقـيم حرفًـا مقـام حـرف»[٢]. وعبّر ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) عن كثرة أمثلة هذه الظاهرة في الكلام العـربي بقوله: «ومن سـنن العـرب إبـدالُ الحـروف وإقامـة بعـضها مقـام بعـض. ويقولون: مدحه ومدهه... وهو كثير مشهور قد ألَّف فيه العلماء»[٣].

وقد وطّأ اتحاد الأصوات الصفيرية في المخـرج، إلى وقـوع «الإبـدال» بينها، في عدد من الاستعمالات اللغوية، على ما هو مقرَّر من أن اتحـاد مخـارج الأصوات، أو تقاربها، هو مما قد يفضي إلى وقوع الإبدال بينها، بـل لقـد عُـدّ هذا شرطًا مهمًا للقول بحصول «الإبدال» بين استعمالين لغـويين، أو أكثـر. قال ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في حديثـه عـن أن الحـاء: «لا تكـون بـدلاً، ولا زائدة أبدًا، إلا فيما شذَّ عنهم»: «فأمّا قول من قال في قول تأبَّط شَرًّا:

(١) سر الصناعة ١/ ٦٩ (في حديثه عن صـوت «الهمـزة» ومجيئهـا أصـلاً وبـدلاً وزائـدة). وفي اللسان (ب د ل) ١/ ٢٣١: «بِدْل الشيء وبَدَله وبديله: الخَلَف منه. والجمع أبدال... وأبدل الشيءَ من الشيء وبدَّله: تَخِذَه منه بَدَلاً». وينظر - كذلك: ابن سيده: المخصص ١٣/ ٢٦٧هـ (باب البدل)، والرضي الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب ٣/ ١٩٧.

(٢) شرح المفصَّل ١٠/ ٧. هذا، وفي التعبير عن توصيف الإبدال بأنه «أن تقيم حرفًا...» قَدْر من التسامح، إذ قد يوهم بأن (عملية) الإبدال يقصد إليها أهل اللغة قَصْدًا، وليس الشأن كذلك (ينظر: د. إبـراهيم أنـيس: مـن أسرار اللغـة ص٦٩- ٧٠، ود. عبـد الـصبور شـاهين: أثـر القراءات في الأصوات والنحو العربي ص٢٦٥).

(٣) الصاحبي ص٣٣٣. وينظر التعليق السابق على كلام ابن يعيش. وينظر- كذلك: د. صـبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة ص٢١٣.

كأنها حَثَّحثوا حُصًّا قَوَادِمُهُ		أو أُمَّ خِشْفٍ بذي شَثٍّ وطُبَّاقِ

إنه أراد: حثُّوا، فأبدل من الثاء الوسطى حاءً، فمردودٌ عندنا.. وسألتُ أبا عليٍّ عن فساده، فقال: العِلّة في فساده أن أصل القلب (كذا) في الحروف إنما هو فيها تقاربَ منها، وذلك: الدال والطاء والتاء، والذال والظاء والثاء.. وغير ذلك مما تدانت مخارجُه. فأمّا الحاء، فبعيدة من الثاء، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها»[١]. وقال ابن سيده (ت ٤٥٨هـ)- بعد أن ذكر أمثلة مختلفة للإبدال تقاربتْ فيها مخارجُ الحروف المبدلة: «... فأمّا مالم يتقارب مخرجاه ألْبَتَّةَ، فقيل على حرفين غير متقاربين، فلا يُسمَّى بدلاً، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق»[٢]. وعلى هذا الشرط كذلك جمهرةُ المحدثين[٣].

وقد دلّ استقراء «معجم القراءات القرآنية» على أن صور الإبدال التي عرضتْ للأصوات الصفيرية، في القراءات القرآنية، تشمل ما يأتي:

- إبدال السين صادًا.
- إبدال السين زايًا.
- إبدال السين تاء.

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٨٠ (ويلاحظ استعماله «القلب» بمعنى «الإبدال»). وفي اللسان (ح ث ث) ٢/ ٧٧٣: «حَثْحَثه- كحثّه وحثّثه- أي: حضّه، قال ابن جني...».

(٢) المخصص ١٣/ ٢٧٤.

(٣) ينظر - مثلاً: د. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة ص٧٥، ود. صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة ص٢١٩، ود. رمضان عبد التواب: التطور اللغوي ص٣١- ٣٢، ود. عبد الصبور شاهين: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ص٢٦٩، ود.عبد الغفار هلال: العربية: خصائصها وسماتها ص٣٢٢- ٣٢٣.

١ - أ- إبدال السين صادًا

كانت هذه الصورة من صور إبدال الأصوات الصفيرية، في القراءات القرآنية، أوفر الصور أمثلةً على ما كشف عنه استقراء «معجم القراءات»[١].

وقد تبيّن من توجيه أئمتنا للقراءات القرآنية المتعلقة بهذه الصورة من صور الإبدال، أنهم قد اعتبروا - في توجيههم هذا- مجاورة السين لأصوات: الطاء، ثم: القاف، والغين، وتحديدًا: صفة «التفخيم» في هذه الأصوات الثلاثة.

لقد وصَّف علماء التجويد «التفخيم» بأنه «عبارة عن سِمَن يدخل على جسم الحرف؛ فيمتلئ الفم بصداه»[٢]. وعدُّوا الأصوات المستعلية (ص،ض، ط، ظ، ق، غ، خ) كلَّها مفخَّمة، كما عدوا الأصوات المُطْبَقة (ص، ض، ط، ظ) منها خاصة، أكثرها تفخيمًا. يقول عبد الدائم الأزهري (ت ٨٧٠هـ): «حروف الاستعلاء أقوى الحروف، وأقواها حروف الإطباق، ومن ثم مَنَعتِ الإمالة؛ لاستحقاقها التفخيم المنافي للإمالة»[٣].

---

(١) انتهى د. عبد الصبور شاهين في استقرائه لأمثلة الإبدال في «لسان العرب» إلى أن «أكبر نسبة بلغتها الأمثلة في (اللسان) كانت بين السين والصاد؛ إذ بلغت (٤٨) رواية». (ينظر كتابه: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ص٢٩٢).

(٢) ساجُقْلي زاده: جهد المُقِلّ ص٦٩. وينظر - كذلك: محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد في علم التجويد ص٩٣، وشرح الشيخ زكريا الأنصاري للمقدمة الجزرية ص١٧ (مطبوع على هامش كتاب «المنح الفكرية»لملّا على القاري).

(٣) الطرازات المُعْلَمة في شرح المقدمة ص١١٧. وينظر - كذلك: مكي: الرعاية ص١٢٨-١٢٩، وعبد الوهاب القرطبي:الموضح ص١١٠، والشيخ محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد ص٩٤ (عبارته: أما حروف الاستعلاء، فكلها مفخّمة... وأعلاها في التفخيم حروف الإطباق).

وتشترك الأصواتُ المستعلية مع المطبقة في أنه يَصحَب النطقَ بها ارتفاعٌ لأقصى اللسان، ثم تستقلُّ الأصواتُ المطبقة بارتفاع طرف اللسان كذلك في مخارجها[1].

وإجمالًا، لا يختلف الدرس الصوتيّ الحديث، في توصيفه للتفخيم pharyngealization/velarization، ولا في تحديده لأصواته وتباينها في قدر التفخيم، عمّا قرره علماء التجويد. فالتفخيم «أثر سمعيّ» ينتج عن وضعية النطق بهذه الأصوات المذكورة، على ما وصفها أئمتنا (ارتفاع أقصى اللسان صوب الحنك اللين، فضلاً عن ارتفاع طرفه في موضع النطق بالمطبق منها خاصة)[2]، مع إضافة تتمثل في ملاحظة ما يصحب ذلك من «سحب جذر اللسان نحو الجدار الخلفي للحلق لإحداث تضييق في هذا الحيز»[3].

ويمكننا- بعد- أن نعرض عرضًا تحليليًّا، للاستعمالات القرآنية التي وردت فيها القراءةُ بإبدال السين صادًا: مجاورة للطاء (الأعلى تفخيمًا)، ثم مجاورة للقاف أو للغين (الأقل تفخيمًا)، على النحو الآتي:

---

(١) ينظر: ابن جني: سر الصناعة ١/ ٦٢، وابن يعيش: شرح المفصل ١٠/ ١٢٩، وابن عصفور: الممتع ٢/ ٦٧٥، ومكي: الرعاية ص١٢٢- ١٢٣.

(٢) ينظر: د. كمال بشر: علم الأصوات ص١٢٧، ٣٩٤، ودراسات في علم اللغة ص٢٠٧. وينظر كذلك: د. سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام ص٢١٩- ٢٢١، ود. محمد حسن عبد العزيز: مدخل إلى اللغة ص٧٧، ود. كريم حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة ص١٦٦- ١٦٧. ود. سمير إستيتية: الأصوات اللغوية ص١٤٣- ١٤٤، و Al-ani, Arabic Phonology, pp. 44- 58 (عرض بالتحليل الفسيولوجي والفيزيائي للأصوات المفخمة ونظائرها المرققة)، و Lehmann, Descriptive Linguistics, P. 75.

(٣) عبد الفتاح إبراهيم: مدخل في الصوتيات ص٧٧.

١-أ-١- إبدال السين صادًا (في مجاورة الطاء)

قرّر علماء التجويد - على ما سبق ذكره - أن الأصوات المطبقة (ص،ض، ط، ظ) هي أكثر الأصوات المستعلية تفخيمًا. كما قرروا - كذلك - أن صوت «الطاء» خاصة، هو أعلى تلك الأصوات المفخمة تفخيمًا(١). وقد اعتمد جمهور أئمتنا على صفة «التفخيم» تلك في توجيههم القراءة بإبدال السين صادًا، في بعض الاستعمالات القرآنية، التي اشتملت كذلك على صوت الطاء.

وقد تبين - باستقراء «معجم القراءات القرآنية» - أن هذه الاستعمالات القرآنية ترجع إلى الجذور اللغوية الآتية: (س ر ط)، (و س ط)، (ب س ط)، (س ط و)، (ق س ط)، (ق س ط س)، (ط و ع)، (س ط ر)(٢). وذلك بالتفصيل الآتي:

(س ر ط)

ورد من هذا الجذر اللغوي استعمالٌ قرآني واحد: «الصراط»، تردد في خمس وأربعين آية(٣). وردت فيه أربع قراءات قرآنية(٤):

---

(١) ينظر مثلاً: مكي: الرعاية ص١٢٩، وابن الجزري: النشر ١/ ٢٠٢، وساجُقْلي زاده: جهد المُقِلّ ص٧٠- ٧١.

(٢) رُتبت الجذور حسب ورود استعمالاتها - أو أحدها - في المصحف الشريف.

(٣) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٤٠٧.

(٤) ينظر: معجم القراءات القرآنية ١/ ١١ وغيره من كل موضع ورد فيه لفظ «الصراط» في القرآن الكريم، عدا ما ورد من ذلك في سورة البقرة: ٢١٣، والأنعام: ١٦١، والنحل: ١٢١، ومريم: ٤٣، والحج: ٥٤، والمؤمنون: ٧٤، وسبأ: ٦، ويس: ٦٦، والصافات: ١١٨، والزخرف: ٤٣، ٦١، ٦٣، والفتح: ٢٠. حيث لم يعرض المعجم للفظ «الصراط» الوارد ==

الأولى: بالسين الخالصة.

وممن قرأ بها: الكسائي (ت١٨٩هـ)، وابن كثير (ت ٢٩١هـ) في رواية عنه.

الثانية: بالصاد الخالصة.

وهي قراءة «أكثر القرّاء»[1]، كعاصم بن أبي النَّجود (ت ١٢٧هـ)، ونافع بن أبي نُعَيم (ت ١٩٩هـ)، وغيرهما. وهذه القراءة هي محلّ اهتمام هذا المبحث.

الثالثة: بالزاي الخالصة.

وممن قرأ بها: أبو عمرو بن العلاء(ت ١٥٤هـ)، في رواية عنه، على ما سنتناول بالتفصيل في مبحث «إبدال السين زايًا».

الرابعة: بإشمام الصاد زايًا.

وممن قرأ بها: حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ) برواية خَلَف بن هشام (ت ٢٢٩هـ) عنه، على ما سنعرض له تفصيلًا في مبحث«الإشمام».

== في كلٍّ من هذه المواضع، على ما كشف عنه استقرائي لهذا المعجم. وينظر- كذلك: ابن مجاهد: السبعة في القراءات ص١٠٥- ١٠٧، وأبو على الفارسي: الحجة ١/ ٤٩، ومكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات السبع١/ ٣٤، وأبو معشر الطبري : التلخيص في القراءات الثمان ٢٠١، وابن سوار البغدادي: المستنير في القراءات العشر ٢/ ٨- ٩، وأبو العلاء الهمذاني: غاية الاختصار ٢/ ٤٠٣، وابن الجزري: النشر في القراءات العشر ١/ ٢٧١- ٢٧٢، والبنا الدمياطي: إتحاف فضلاء البشر ص٢٣. حيث ورد في كلٍّ منها حاصل القول في قراءات «الصراط» الأربع، وعزوها إلى القارئين بها.

(١) ينظر: مكي: الكشف ١/ ٣٤.

وأصل لفظ «الصراط» هو: «السِّراط» - بالسين- يقول الأزهري (ت ٣٧٠هـ): «وقول الله عز وجل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ كُتبت بالصاد، والأصل السين»(١).

ومعنى اللفظ هو: «الطريق»(٢)، أو «الطريق القاصد»(٣) وهو مشتق من قولهم: «سَرِط الطعامَ»: إذا بَلِعه. يقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): «وبعض أهل العلم يقول: السِّراط مشتق من ذلك [أي من قولهم: سرِط الطعامَ:بلعه]؛لأن الذاهب فيه يغيب غيبة الطعام المستَرَط»(٤). ويقول الزمخشري (ت ٥٣٧هـ): «السّراط: الجادّة، من: سَرِط الشيءَ: إذا ابتلعه؛ لأنه يسترِط السابلة إذا سلكوه، كما سُمِّي لَقَمًا؛ لأنه يلتقمهم»(٥). ويزيد السَّمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) وجهًا آخر لهذا الاشتقاق فيقول: «وهو [أي السِّراط: الطريق] مشتق من السَّرْط، وهو الابتلاع: إما لأنَّ سالكه يسترطه، أو لأنه يسترِط سالكه... وعلى هذا سُمّي الطريق لَقَمًا.. لأنه يلتقم سالكَه، أو يلتقمه سالكه»(٦). فلفظ «السراط»، إذن: سيني الأصل: وعلى ذلك كان

---

(١) تهذيب اللغة (س ر ط) ١٢/ ٣٣٠.

(٢) ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص٣٨.

(٣) ابن دريد: جمهرة اللغة (س ر ط) ١/ ٧١٤. وينظر كذلك: الزجاج: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٩، وابن عطية: المحرر الوجيز ١/ ١١٨، واللسان (س ر ط) ٣/ ١٩٩٣.

(٤) مقاييس اللغة (س ر ط) ٣/ ١٥٢. وقد أدار ابن فارس استعمالات هذا الجذر حول معنى «الغيبة في مرٍّ وذهاب».

(٥) الكشاف ١/ ٢٥. ونقله عنه «أبو حيان» في «البحر المحيط»١/ ١٤٣. وفي اللسان (ل ق م) ٥/ ٤٠٦٣- ٤٠٦٤: «اللَّقْم: سرعة الأكل والمبادرة إليه... واللَّقَم: معظم الطريق».

(٦) الدر المصون ١/ ٦٤.

توجيه قراءته بالسين الخالصة[1]، على نحو ما قرأ ابن كثير (ت ٢٩١هـ)، في رواية عنه.

وأما القراءة بالصاد الخالصة، فقد وجهها جمهور أئمتنا[2] في ضوء اشتمال لفظ «السراط» على صوتي السين والطاء. والسين صوت مُسْتَفِلٌ منفتح (= مرقق)، والطاء صوت مطبق (= مفخَّم تفخيمًا كاملاً)؛ فالنطق بهما متواليين- أو كالمتواليين - «فيه تكلُّف وصعوبة»[3] لما يقتضيه ذلك من «التصعّد بعد التسفّل»[4]، أي انتقال اللسان من وضعية الترقيق (التسفل) إلى وضعية التفخيم (التصعد، أي: صعود أقصاه إلى الحنك اللين)؛ فأُبدلت السين صادًا- والصاد صوت مطبق مفخَّم «ليعمل اللسانُ فيهما [أي: في

---

(١) ينظر: ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع ص٦٢، وأبو علي الفارسي: الحجة ١/ ٤٩، ومكي: الكشف ١/ ٣٤، وأبو زرعة: حجة القراءات ص٨٠، والباقولي: كشف المشكلات ١/ ١٦٨، وأبو حيان: البحر المحيط ١/ ١٤٣.

(٢) ينظر: ابن مجاهد: السبعة في القراءات ص١٠٧، وابن خالويه: الحجة في القراءات السبع ص٦٢، ومكي: الكشف ١/ ٣٤، وابن عطية: المحرر الوجيز ١/ ١١٨ - ١١٩، والباقولي: كشف المشكلات ١/ ١٦٨.

(٣) مكي: الكشف ١/ ٣٤.

(٤) ينظر: ابن مجاهد: السبعة ص١٠٧، وأبو علي الفارسيّ: الحجة ١/ ٥٢. و«التسفل» في لفظ ابن مجاهد- وغيره- إشارة إلى صفة صوتية، هي «الاستفال» (ويقابلها: الاستعلاء)، وتعني: «انحطاط أقصى اللسان عند خروج الحرف، أي عدم ارتفاعه نحو الحنك» (د. محمد جبل: المختصر ص٦٣). هذا، وهذه الصفات الصوتية (المذكورة هنا ومن قبل) ترجع في تسمياتها ومفاهيمها الاصطلاحية إلى سيبويه في باب «الإدغام» (ينظر- مثلاً: الكتاب ٤/ ٤٣٦، ٤٨٠).

نطقهما] متصعِّدًا في الحنــك عَمَلًا واحدًا»[1]، أي يتخذ وضعيةً نطقية واحدة «فذلك أسهل وأخف»[2]، بدلاً من الانتقال من وضعية نطقية إلى أخرى.

وقد أبدلت السين صادًا خاصة، دون أي صوت مطبق (مفخم) آخـر؛ لأن الصاد – من جهة «تـؤاخي الـسين في الهمـس والـصفير»، ومـن جهـة أخرى فإنها «تؤاخي الطاء في صفة الإطباق»[3]. فصوت الـصاد هـو أقـرب صوت مفخّم لصوت السين، بل هو النظير المفخم له، على ما سـبق بيانـه في تمهيد البحث.

(و س ط)

ورد من هذا الجذر خمسة اسـتعمالات قرآنيـة[4]، منهـا: «الوُسْـطى»، و«أَوْسطُ»، و«فوسَطْن» الواردة في الآيات الثلاث الآتية:

- ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ﴾[5].
- ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾[6].
- ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾[7].

---

(١) ابن مجاهد: السبعة ص١٠٧.

(٢) مكي: الكشف ١/ ٣٤. وينظر- كذلك: ابن يعيش: شرح الملوكي في التصريف ص٣١٨.

(٣) الاقتباسان من كتــاب ابن خالويه: الحجة ص٦٢. وينظر كـذلك: ابـن سـيده: المخـصص ١٣/ ٢٦٨.

(٤) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٧٥٠.

(٥) سورة البقرة ٢/ ٢٣٨.

(٦) سورة المائدة ٥/ ٨٩.

(٧) سورة العاديات ١٠٠/ ٥. والاستعمالان الباقيان هما الـواردان في قولـه تعـالى: ﴿وَكَـذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ٢/ ١٤٣]، و﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُـسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٦٨/ ٢٨].

وقد ورد في كلٍّ من هذه الاستعمالات قراءتان قرآنيتان: الأولى بالسين، والثانية بالصاد.

فأما لفظ «الوسطى»، فقد رُويت قراءته بالصاد عن نافع (ت١٦٩هـ)، وقالون (ت ٢٢٠هـ)[١]. وأما لفظ «أوسط»، فقد رُويت قراءته بالصاد عن قالون، كما ذكر أبو حيان الأندلسي[٢] (ت ٧٤٥هـ). وأما لفظ «فَوَسَطْنَ»، فقراءته بالصاد غير منسوبة[٣]. وقرأ باقي القراء هذه الألفاظ بالسين.

فأما القراءة بالسين، فجاءت على الأصل في هذه الاستعمالات، فهي ترجع جميعًا إلى الجذر «و س ط» بالسين؛ فلا يوجد «و ص ط» في جذور العربية[٤]. كما أن دلالات هذه الاستعمالات القرآنية تتسق مع المعنى المحوري لسائر استعمالات (و س ط)، وهو «العدل والنَّصَف»[٥]، أو «كون الشيء مكتَنَفاً من حواليه أو آخذًا منهما بالتساوي...»[٦]:

---

(١) ينظر: معجم القراءات ١/ ١٨٥. و«قالون» هو أحد أشهر اثنين رويا قراءة نافع بن أبي نعيم، وهو الذي لقبه بـ«قالون»، ومعناها جيّد بالرومية. واسمه: عيسى بن مينا. (ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية ١/ ٦١٥).

(٢) ينظر: البحر المحيط ٢/ ٢٦٧ [في كلامه عن القراءات في لفظ «بسطة» الوارد في سورة البقرة (آية ٢٤٧)]. ولم يورد «معجم القراءات» هذه القراءة.

(٣) ينظر: معجم القراءات ٨/ ٢١٥. ومصدر المعجم الوحيد في توثيق ورود هذه القراءة هو معاني القرآن للأخفش (بتحقيق فائز فارس) ٢/ ٥٤٣ (وهي في طبعة الكتاب التي حققتها د. هدى قراعة: ٢/ ٥٨٣، على ما راجعتُه).

(٤) ينظر: د. علي حلمي موسى: إحصائيات جذور معجم لسان العرب ص١٥١، ودراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس ١٨٢.

(٥) ينظر: ابن فارس: المقاييس ٦/ ١٠٨.

(٦) ينظر: د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم (و س ط) ٢/ ١٠٣٠.

- فممّا فسّر به قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾ أنها: «صلاة العصر؛ لأن قبلها صلاتي نهار، وبعدها صلاتي ليل»[1].
- ومما فسّر به ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أن الوَسَط هو ما كان «منزلة بين منزلتين، ونَصَفًا بين طرفين... عن ابن عباس قال: كان الرجل يقوت أهله قوتًا فيه سعة، وكان الرجل يقوتُ أهلَه قوتًا فيه شدة؛ فنزلتْ ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ وهذا يدلُّ على أن الوَسَطَ ما ذكرناه، وهو ما كان بين شيئين»[2].
- كما فُسِّرت السِّطة في قوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ بالصيرورة في الوسط[3]، على قول العرب: «وَسَطَ الشيءَ وتوسَّطه: صار في وسطه»[4].

وأما القراءة بإبدال السين صادًا، فتوجيه أئمتنا لها مماثل لتوجيههم القراءة بالصاد، في لفظ «الصراط»؛ يقول أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)- في توجيهه لقراءة «الوسطى» بالصاد: «أُبدلت السين صادًا لمجاورة الطاء. وقد تقدَّم الكلام على هذا في قوله [تعالى] ﴿الصِّرَاطَ﴾»[5].

---

(١) تفسير القرطبي ٣/ ٢١٠. وقد ذكر تسعة أقوال أخرى في تعيين المراد من الصلاة الوسطى. وينظر - كذلك: الراغب: المفردات ص٨٦٩- ٨٧٠.

(٢) تفسير القرطبي ٦/ ٢٧٦.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ١٦٠، وأبو حيان: البحر المحيط٨/ ٥٠٤.

(٤) لسان العرب (و س ط) ٦/ ٤٨٣٣.

(٥) البحر المحيط ٢/ ٢٥١.

(ب س ط)

تردّدت بعض تصاريف هذا الجذر خمسًا وعشرين مرة في القرآن الكريم[1]. منها: «يبسط»، و«بسطة»، كما في قوله تعالى:

- ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2].
- ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾[3]، و﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾[4].

وقد ورد في تلك الآيات قراءتان قرآنيتان[5]:

الأولى: بالسين. وممن قرأ بها في ﴿يبسط﴾: ابن كثير (ت ١٢٠هـ)، وعاصم (ت ١٢٧هـ). وممن قرأ بها في ﴿بسطة﴾ بسورة البقرة: حمزة (ت ١٥٦هـ)، وبسورة الأعراف: أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ).

الثانية: بالصاد. وممن قرأ بها في ﴿يبسط﴾: الكسائي (ت ١٨٩هـ)، ونافع (ت ١٦٩هـ) في رواية عنه. وممن قرأ بها في ﴿بسطة﴾ بسورة البقرة[6]: الكسائي، وبسورة الأعراف: نافع، والكسائي.

والأصل في الاستعمال القرآني هو السين، والصاد مبدلة منها، جاء في اللسان «البَصْطة، بالصاد: لغة في البَسْطة. وقرئ: ﴿وزاده بصطة﴾ ...

---

(١) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس ص١٠٩.

(٢) سورة البقرة ٢/ ٢٤٥.

(٣) سورة البقرة ٢/ ٢٤٧.

(٤) سورة الأعراف ٧/ ٦٩.

(٥) ينظر: ﴿يبسط﴾ [البقرة: ٢/ ٢٤٥]: معجم القراءات ١/ ١٨٩، و﴿بسطة﴾ [البقرة: ٢/ ٢٤٧]: معجم القراءات ١/ ١٩١، و﴿بسطة﴾ [الأعراف: ٧/ ٦٩]: معجم القراءات ٢/ ٣٧٨.

(٦) وينظر: ابن سوار البغدادي: المستنير في القراءات العشر ٢/ ٦٠.

بالصاد والسين. وأصل صاده سينٌ»[1]. يدعم ذلك اتساقُ دلالة هذه الاستعمالات القرآنية، حَسَبَ ما فسِّرت به، مع دلالة سائر استعمالات (ب س ط): فقد فسِّر قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ بأنه- سبحانه - «يقتِّر ويوسّع. وقال بعضهم: يسلب قومًا ما أنعم عليهم، ويوسِّع على آخرين»[2]. وفسِّرت «البَسْطة» بأنها «السَّعَة» أيضًا[3]. وهذا المعنى أصيل في (ب س ط)؛ إذ تدور استعمالاته حول «امتداد الشيء في عِرَض، أو غير عِرَض»[4].

وأما القراءة بإبدال السين صادًا، فتوجيه قدامانا لها هو ذاته توجيههم للقراءة بالصاد الخالصة، في لفظ «الصراط»، وهو صعوبة النطق بالطاء المطبقة (المفخمة) بعد السين المرققة «فأبدل منها [أي من السين] صوتٌ يؤاخي السين في المخرج والصفير، ويؤاخي الطاء في الإطباق والاستعلاء، وهو الصاد؛فعَمِلَ اللسان بذلك عَمَلًا واحدًا متصعِّدًا، منطبقًا بالحرفين معًا»[5].

---

(١) (ب ص ط) ١/ ٢٩٤.

(٢) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٣٢٥. وينظر كذلك: أبو حيان: البحر المحيط ٢/ ٢٦٢.

(٣) ينظر: ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص٩٢، وابن عطية: المحرر الوجيز ٥/ ٥٥١ (عبارته: الكمال في الطول والعرض).

(٤) ابن فارس: المقاييس (ب س ط) ١/ ٢٤٧.

(٥) مكي:الكشف ١/ ٣٠٢- ٣٠٣. وينظر - كذلك: أبو على الفارسيّ: الحجة ٢/ ٣٤٧ (كلام مكيّ بَسْط لكلام أبي علي)، وأبو زرعة: حجة القراءات ص١٣٩، والسمين الحلبي: الدر المصون ٢/ ٥١٢.

(س ط و)

لم يرد من هذا الجذر في القرآن الكريم، إلا استعمالٌ واحد: «يسطون»[1]، جاء مرّةً واحدة، في قوله تعالى: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾[2]. وقد ورد في هذا الاستعمال القرآني قراءتان:

الأولى: بالسين. وعليها عامة القراء.

الثانية: بالصاد. وقد ذكر أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) أنها تروى عن قالون[3] (ت ٢٢٠هـ).

فأما القراءة السينية، فقد جاءت على الأصل؛ إذ الاستعمال سيني الجذر، فلا يوجد في جذور العربية «ص ط و»[4]. هذا فضلاً عن أن الاستعمال القرآني قد فسِّر بـ «يكادون يبطشون بسطوة على النبي -ﷺ- وأصحابه، والذين يتلون عليهم القرآن»[5]. ومعنى «البطش» أصيل في استعمالات «س ط و»؛ يقول ابن فارس: «السين والطاء والحرف المعتل

(١) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس ص٣٥٠.

(٢) سورة الحج ٢٢/ ٧٢.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٢/ ٢٦٧. في حديثه عن القراءات في لفظ «بسطة» بسورة البقرة (آية ٢٤٧) ولم يورد «معجم القراءات» هذه القراءة حين عرض للقراءات الواردة في سورة الحج.

(٤) ينظر: د. علي حلمي موسى: إحصائيات جذور معجم لسان العرب ص١٢٥، ودراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس ص١٥٧.

(٥) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٧١. وينظر - كذلك: الراغب: المفردات ص٤١٠، وتفسير القرطبي ١٢/ ٩٥-٩٦.

أصل يدل على القهر والعلوّ[1]»، وجاء في اللسان: «السَّطْو: القَهْر بالبطش... وسطا عليه وبه... صال... وفلان يسطو على فلان، أي: يتطاول عليه»[2].

وأما القراءة بإبدال السين صادًا، فلم أعثر - فيما طالعت من مصادر تردد أثناء هذا البحث - على نص صريح لأحد أئمتنا في توجيهها. والواضح أنها توجَّه التوجيه المذكور في القراءات الصادية لألفاظ «الصراط» و«الوصطى» ونحوهما مما مرّ ذكره، من إبدال السين صادًا، لتُجانس الطاء في صفة التفخيم؛ فلا يُنطق بمفخَّم بعد مرقَّق.

(ق س ط) (ق س ط س)

ترددت بعض تصاريف الجذر الأول (ق س ط) خمسًا وعشرين مرة، في القرآن الكريم. ومنها لفظ «القسط» الذي تردّد وحده خمس عشرة مرة[3]، كقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[4]. وورد من الجذر الثاني (ق س ط س) استعمال قرآني واحد «قسطاس»، تردّد في آيتين كريمتين[5]، إحداهما قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾[6].

---

(١) ابن فارس: المقاييس ٣/ ٧١.

(٢) (س ط و) ٣/ ٢٠١٠.

(٣) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس ص٥٤٤- ٥٤٥.

(٤) سورة الأنبياء ٢١/ ٤٧.

(٥) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس ص٥٤٥.

(٦) سورة الإسراء ١٧/ ٣٥. والآية الأخرة هي قوله تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ. وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [سورة الشعراء ٢٦/ ١٨١، ١٨٢].

وقد ورد في لفظ «القسط»، بالآية المذكورة، قراءتان قرآنيتان[1]:

الأولى: بالسين. وهي قراءة عامة القراء.

الثانية: بالصاد. وهي قراءة غير منسوبة، فعبارة «البحر المحيط»[2]- وهو المصدر الوحيد لهذه القراءة حسب «معجم القراءات»[3]- نصُّها: «وقرئ ﴿القصط﴾ بالصاد». وعبارة ابن عطية(ت ٥٤٦هـ): «وقرأت فرقة: القِصْط بالصاد».

وأما لفظ «القسطاس» بالآية المذكورة[4]، فقد وردت فيه قراءتان قرآنيتان:

الأولى: بالسين وهي قراءة عامة القراء.

الثانية: بصاد قبل الطاء. وقد رُويت – فيما رويت- عن عاصم (ت١٢٧هـ) مع ضم القاف[5] (القُصْطاس).

وقد جاءت القراءة بالسين في لفظ «القسط»، على الأصل السينيّ لجذره؛ إذ لا تشتمل جذور العربية على (ق ص ط)[6]، كما أن معنى

---

(١) ينظر: معجم القراءات ٤/ ١٣٨.

(٢) البحر المحيط ٦/ ٢٩٤ (يلاحظ أن طبعة «البحر» التي رجعتُ إليها غير الطبعة التي رجع إليها مصنفا «معجم القراءات»).

(٣) المحرر الوجيز ١٠/ ١٥٨ (ولم يكن هذا التفسير من مصادر «معجم القراءات»).

(٤) وكذا بآية سورة الشعراء (١٦/ ١٨٢). ينظر: ابن سوار البغدادي: المستنير في القراءات العشر ٢/ ٢٥٤.

(٥) ينظر: معجم القراءات ٣/ ٣٢١. وينظر – كذلك: ابن سوار البغدادي: المستنير ٢/ ٢٥٤.

(٦) ينظر: د. علي حلمي موسى: إحصائيات جذور معجم لسان العرب ص١٣٩، ودراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس ص١٧١.

«العدل»- وهو ما فسِّر به الاستعمال القرآني[1] - شائع في شطر استعمالات «ق س ط»[2]، وفي جُلّ الاستعمالات القرآنية الأخرى الراجعة إلى هذا الجذر[3].

وأما القراءة بإبدال السين صادًا، فتوجيهها كتوجيه نظرياتها السابقة[4]، أعني المجانسة في صفة التفخيم.

وأما لفظ «القسطاس»[5]، فمما فسِّر به: الميزان عامة، أو نوع بعينه[6]. وقد قيل بأنه روميّ معرَّب[7]. وإذا كان الأمر كذلك، فإن «العرب إذا عرّبت اسمًا من غير لغتها اتَّسعت فيه»[8]، أي: اتسعت في صور النطق

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي ١١/ ٢٩٤ (فيه: القِسْط: العدل، ليس فيها بخس ولا ظلم كما يكون في وزن الدنيا).

(٢) ينظر: ابن فارس: المقاييس (ق س ط)٣/ ٨٥- ٨٦. وينظر كذلك: اللسان (ق س ط) ٥/ ٣٦٢٦- ٣٦٢٦.

(٣) ينظر: الراغب: المفردات ص٦٧٠.

(٤) لم أعثر فيما طالعت من مصادر تتردد في هذا البحث، على نصٍّ لأحد أئمتنا في توجيه هذه القراءة، في لفظ «القسط» خاصة، وكأنهم اكتفوا بما قرروه في توجيه نظيراتها.

(٥) يقرأ بكسر القاف وضمها. ينظر: معجم القراءات ٣/ ٣٢٠- ٣٢١.

(٦) ينظر: أبو حيان: البحر المحيط ٦/ ٣١- ٣٢، والسمين الحلبي: الدر المصون ٧/ ٣٥٠، واللسان (قسطس) ٥/ ٣٦٢٦.

(٧) ينظر الجواليقى: المعرَّب ص٤٨٨. وينظر: كذلك: ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص٢٥٤، وابن خالويه: الحجة في القراءات السبع ص٢١٧، وابن عطية: المحرر الوجيز ٩/ ٨١.

(٨) ابن خالويه: الحجة ص٢١٧.

به[1]. ويقول الجواليقي (ت ٥٤٠هـ): «اعلم أنهم [أي العرب] كثيرًا ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها... وهذا التغيير يكون بإبدال حرفٍ من حرف، أو زيادةِ حرفٍ، أو نقصانِ حرفٍ»[2].

وعلى ذلك، فقد عُرِّب لفظ «القِسْطاس» تارة بالسين، وتارة أخرى بالصاد، وعليهما جاءت القراءتان. وإذا جاز لنا أن نَعُدّ الصورة السينية للفظ هي الصورة الأشيع، في ضوء كثرة من قرءوا بها، فإن توجيه القراءة بالصاد، بدلاً من السين، يكون هو التوجيهَ ذاتَه المقولَ به في قراءة لفظ «القِسْط» بالصاد، وكذا في نظرائه مما سبق في هذا المبحث، أعني المجانسة في صفة التفخيم.

صيغة (استفعل) من (ط و ع):

ترددتْ بعضُ تصاريف هذا الجذر مائة وثمانيًا وعشرين مرة[3]، منها قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾[4]. وقد ورد في هذا الاستعمال القرآني قراءتان:

الأولى: بالسين. وهي قراءة عامة القراء.

---

(١) أمثلة تعدد الصور النطقية المعرَّبة للفظ الأعجمي الواحد أمثلة جد وفيرة تحتشد بها كتب المعرّب، ككتاب الجواليقي. وينظر: د. محمد حسن عبد العزيز: التعريب في القديم والحديث ص٦٤- ٧٠.

(٢) المعرّب ص٩٤.

(٣) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس ص٤٢٩-٤٣١.

(٤) سورة الكهف ١٨/ ٩٧. و«اسطاعوا»: أصلها «استطاعوا»، وحذفت التاء تخفيفًا (ينظر: الزجاج: معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣١٢، وابن عطية: المحرر الوجيز ٩/ ٤٠٨).

الثانية: بإبدال «سين» صيغة استفعل صادًا. وقد عزيت هذه القراءة إلى «شعبة»[1] (ت ١٩٣هـ).

وقد وجّه أئمتنا قراءة الصاد على النحو الذي وجِّهت به القراءات السابقة. يقول أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ): «وقرأ الأعشى عن أبي بكر ﴿فما اصطاعوا﴾ بالإبدال من السين صادًا؛ لأجل الطاء»[2].

(س ط ر)

ورد من هذا الجذر اللغوي (مما أبدلت سينه صادًا) استعمالٌ قرآنيّ واحد: «مصيطر» تردَّد – معرَّفًا ومنكَّرًا- في آيتين كريمتين[3]، هما: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾[4]،و﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾[5].

وقد ورد في هذا الاستعمال القرآني ثلاثُ قراءات[6]:

---

(١) ينتظر: معجم القراءات ٤/ ١٨. وجاء في «غاية النهاية» لابن الجزري (١/ ٣٢٥-٣٢٧): «شعبة ابن عياش بن سالم أبو بكر... النهشليّ الكوفيّ راوي عاصم.. توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة، وقيل: سنة أربع وتسعين.».

(٢) البحر المحيط ٦/ ١٥٦. وينظر كذلك: الزمخشري: الكشاف ٢/ ٧١٩. والمقصود بأبي بكر هو «شعبة» المذكور في الهامش السابق. وأما الأعشى، فهو «يعقوب بن محمد بن خليفة... أبو يوسف الأعشى التميمي الكوفي، أخذ القراءة عرضًا عن أبي بكر شعبة، وهو أجل أصحابه... توفي في حدود المائتين» (ابن الجزري: غاية النهاية ٢/ ٣٩٠).

(٣) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس ص٣٥٠.

(٤) سورة الطور٥٢/ ٣٧. وينظر: معجم القراءات القرآنية ٦/ ٢٦١- ٢٦٢.

(٥) سورة الغاشية ٨٨/ ٢٢. وينظر: معجم القراءات القرآنية ٨/ ١٣٢.

(٦) ينظر: معجم القراءات القرآنية (في الموضعين السابقين)، وينظر كذلك: ابن مجاهد: السبعة في القراءات ص٦١٣، وأبو العلاء الهمذاني: غاية الاختصار ٢/ ٦٦٧، ٧١٥، وابن الجزري: النشر ٢/ ٣٧٨، والبنا الدمياطي: الإتحاف ص٤٠١. حيث ورد في كل منها حاصلُ القول في قراءات هذا الاستعمال القرآني، مع عَزْوها إلى القارئين بها.

الأولى: بالسين الخالصة. وممن قرأ بها: الكسائي (ت ١٨٩هـ)، وحفص (ت ١٨٠هـ)، في رواية عنه.

الثانية: بالصاد الخالصة. وممن قرأ بها: نافع بن أبي نعيم (ت ١٩٩هـ). وهذه القراءة هي موضع اهتمامنا هنا.

الثالثة: بإشمام الصاد زايًا. وهي قراءة حمزة بن حبيب الزيات (ت١٥٦هـ)، برواية خَلَف بن هشام (ت ٢٢٩هـ) عنه. وسنعرض لهذه القراءة بالتفصيل في مبحث «الإشمام».

والأصل في هذا الاستعمال القرآني هو السين[١]. وقد فسِّر «المسيطرون» في قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ بأنهم «الأرباب المتسلطون»[٢]، أو أن «المسيطر: القاهر الغالب. من: سيطر عليه: إذا راقبه وحفظه أو قهره»[٣]. وكذا فسِّر قوله تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ بأنه: «بمسلِّط»[٤].

وقد اشتُقت تلك الدلالة على «التسلط» من استعمالات (س ط ر) الأخرى التي تدور حول معنى «اصطفاف الشيء»[٥]، أو «اصطفاف أفراد

---

(١) ينظر: (س ط ر) في تهذيب اللغة ١٢/ ٣٢٨، واللسان ٣/ ٢٠٠٧.

(٢) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٦٦. وينظر كذلك: ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص٤٢٦، وأبو حيان: البحر المحيط ٨/ ١٤٩ (فيه: الأرباب الغالبون حتى يديروا أمر الربوبية ويبيّنوا الأمور على إرادتهم)، واللسان (س ط ر) ٣/ ٢٠٠٧.

(٣) السمين الحلبي: الدر المصون ١٠/ ٧٨.

(٤) ينظر: الفراء: معاني القرآن٣/ ٢٥٨، وابن قتيبة تفسير: غريب القرآن ص٥٢٥، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٧.

(٥) ابن فارس: المقاييس (س ط ر) ٣/ ٧٢.

أو أشياء طوليًّا بانضباط»[1]، كقولهم: «السَّطْر» للصفّ من الشجر، والنخل، والكتابة، وغيرها[2]. فالمتسلط على غيره كأنه «امتد حتى طالهم، وأمسكهم، وضبطهم بقوّته»[3]. فالاستعمال القرآني إذن سيني الأصل. وبهذا الأصل السيني وجِّهت قراءة من قرأ بالسين الخالصة[4].

وأما القراءة بإبدال السين صادًا خالصة، وهي مَحَلّ اهتمامنا هنا، فقد وجَّهها أئمتنا التوجيه ذاته الذي وجّهوا به قراءة لفظ «الصراط» بالصاد الخالصة. وهو أن إبدال السين (المرققة) صادًا (مفخمّة)، كان لتحقيق المناسبة مع الطاء (المفخمة) المجاورة لها. يقول مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ): «... وقرأ الباقون بالصاد، أبدلوها من السين؛ لإتيان الصاد بعدها؛ ليعمل اللسان في الإطباق عملاً واحدًا»[5]، أي ليتخذ وضعيةً نطقية واحدة، هي وضعية التفخيم (الإطباق)؛ بدلاً من انتقاله من وضعية الترقيق إلى وضعية التفخيم.

---

(١) د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (س ط ر) ٢/ ١٠٣٢.

(٢) ينظر: اللسان (س ط ر) ٣/ ٢٠٠٧.

(٣) د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (س ط ر) ٢/ ١٠٣٢.

(٤) ينظر: مكي: الكشف ٢/ ٢٩٢، ٣٧٢. وأبو حيان: البحر المحيط ٨/ ١٤٩.

(٥) الكشف ٢/ ٣٧٢. وقد اكتفى بعض أئمتنا الآخرين، في توجيه هذه القراءة الصادية، بالإحالة إلى ما ذكروه من توجيه للقراءة بالصاد الخالصة، في لفظ «الصراط». ينظر مثلاً: ابن خالويه: الحجة ٣٣٥، والباقولي: كشف المشكلات ٢/ ٣٣٦.

١-أ-٢- إبدال السين صادًا (في مجاورة الغين، أو القاف):

سبق أن ذكرتُ أن علماء التجويد قد قرروا أن الأصوات المستعلية غير المطبقة (ق، غ، خ) تتميز بأنها مفخمة، وإن كانت أقلّ تفخيمًا من الأصوات المطبقة (ص، ض، ط، ظ). وهذا ما أقره الدرس الصوتيّ الحديث كذلك[١].

وقد عوّل أئمتنا على صفة التفخيم «النسبيّ»، في هذه الأصوات الثلاثة، في توجيههم للقراءة بإبدال السين صادًا، في الاستعمالات القرآنية التي اشتملتْ- كذلك-على أحد هذه الأصوات. وباستقراء «معجم القراءات القرآنية»، تبيَّن أن هذه الاستعمالات القرآنية ترجع إلى الجذور اللغوية الآتية:

- في مجاورة الغين: (س ب غ).
- في مجاورة القاف: (ب س ق)، (س ل ق)، (س ق ر).

وذلك بالتفصيل الآتي:

(س ب غ)

ورد من هذا الجذر استعمالان قرآنيان: «أسبغ» و«سابغات»[٢]. وقد تردد كلٌّ منهما مرةً واحدة:

---

(١) ينظر مثلاً: د. كمال بشر: دراسات في علم اللغة ص٢١٠، وبرتيل مالمبرج: علم الأصوات ص١١٧ - ١١٨ (من كلام المترجم د. عبد الصبور شاهين في دراسة له ألحقها ببعض فصول الكتاب)، ود. محمد حسن عبد العزيز: مدخل إلى اللغة ص٧٧.

(٢) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس ص٣٤٠.

- «أسبغ» في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1].
- «سابغات» في قوله سبحانه: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾[2].

وقد ورد في كلٍّ من هذين الاستعمالين القرآنيين قراءتان: الأولى بالسين، والثانية بالصاد:

- فأما القراءة بالسين فيهما، فهي لعامة القرّاء .
- وأما القراءة بالصاد في ﴿أسبغ﴾، فهي قراءة شاذّة، تُعزَى إلى سيدنا ابن عباس، وإلى يحيى بن عُمارة[3]. في حين لم تُعْزَ القراءة الصادية في ﴿سابغات﴾[4].

وقد جاءت القراءة بالسين، في هذين الاستعمالين، على الأصل السيني لجذرهما (س ب غ). فعلى الرغم من أن القراءة الصادية (أصبغ- صابغات) تصادف في العربية جذرًا صادي الأصل: «ص ب غ»، إلا أن «الدلالة»- هاهنا- تحسم نسبة الاستعمالين إلى الجذر السيني.

فقد فسِّر قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ بأنه سبحانه «أكملها وأتمّها»[5]. وأما «سابغات»، في الآية الثانية، فهي من

---

(١) سورة لقمان ٣١/ ٢٠.
(٢) سورة سبأ ٣٤/ ١١. وقبلها: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾.
(٣) ينظر: معجم القراءات ٥/ ٨٩.
(٤) ينظر: معجم القراءات ٥/ ١٤٦. ومصدر المعجم الوحيد في توثيق ورود هذه القراءة هو تفسير «الكشاف» للزمخشري. وقد وردت القراءة المذكورة بلا عزو أيضًا في «الدر المصون» للسمين الحلبي ٩/ ١٦٠ (لم يكن من مصادر «معجم القراءات»).
(٥) تفسير القرطبي١٤/ ٧٣.

وصف الدروع، واستُغني بالصفة عن ذكر الموصوف. وقد فسِّرت هذه الصفة- مع موصوفها- بأنها «الدروع الكاسيات ذوات الفضول»[1] أو «الدروع الواسعة الضافية»[2].

والآن، فإن هذا المعنى - أعني: «تمام الشيء وضُفُوّه بحيث يفضُل منه»- أصيل في «س ب غ». يقول ابن فارس: «السين والباء والغين أصل واحد يدل على تمام الشيء وكماله»[3]. ومن هذا قولهم: ثوب- وكذا شعر وذَنَب – سابغ: وافٍ[4] (طال إلى الأرض أو قاربها) فالنعمة السابغة «كأنها ثوب طال حتى الأرض، فستر كلَّ الجسم»[5]. وفي المقابل، لم يرد الاستعمالان المذكوران (أسبغ النعمة- درع سابغة) في استعمالات «ص ب غ» أصلًا[6]. كما أن المعنى الذي يحملانه يبدو «غريبًا» على استعمالات «ص ب غ» التي تدور حول معنى «تلوين الشيء بلون ما»[7]. فالقراءة بالسين إذن هي قراءة على الأصل السيني للاستعمالين المذكورين (أسبغ- سابغات).

وأما القراءة بإبدال السين صادًا، فقد وجّهها أئمتنا على أنها بتأثير مجاورة صوت الغين:

---

(١) ابن عطية: المحرّر الوجيز ١٢/ ١٤٤.

(٢) الزمخشري: الكشاف ٣/ ٥٥٤.

(٣) المقاييس (س ب غ) ٣/ ١٢٩.

(٤) ينظر: اللسان (س ب غ) ٣/ ١٩٢٧.

(٥) د. محمد حسن جبل المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم(س ب غ) ٢/ ٩٧٤.

(٦) ينظر: اللسان (ص ب غ)٤/ ٢٣٩٥- ٢٣٩٧.

(٧) ينظر: ابن فارس: المقاييس (ص ب غ) ٣/ ٣٣١.

- فصوت الغين صوت مستعلٍ (= نسبيّ التفخيم).
- وصوت السين صوت مُستفِلٌ (ومرقق).
- فأثَّر «المستعلي النسبيّ التفخيم» في «المستفل المرقَّق»، وأبدله إلى أقرب صوت مُستَعْلٍ له، وهو صوت الصاد.
- وذلك ليحصل «التقارب»؛ فيتخذ اللسان وضعيةً نطقية واحدة (وضعية التفخيم)، بدلاً من الانتقال بين وضعيتين (ترقيق فتفخيم).

يقول ابن جني (ت ٣٩٢هـ): «أصله [أي أصل أصبغ] السين، إلا أنها أُبدلتْ للغين بعدها صادًا... وذلك أن حروف الاستعلاء تجتذب السين عن سَفالها إلى تعاليهنّ، والصاد مستعلية، وهي أخت السين في المخرج... وهذا التقريب بين الحروف مشروح الحديث في باب الإدغام»[١]. ويقول السَّمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)- في: «صابغات»: «وقُرئ: ﴿صابغاتٍ﴾؛ لأجل الغين»[٢].

(ب س ق)

ورد من هذا الجذر اللغوي استعمالٌ قرآنيّ واحد: «باسقات»، جاء مرةً واحدة[٣]، في قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾[٤]. وقد ورد في هذا الاستعمال القرآني قراءتان[٥]:

---

(١) ابن جني: المحتسب ٢/ ١٦٨ (ويلاحظ أن ابن جني كان يعدّ هذا التقريب بين الأصوات نوعًا من الإدغام، أسماه بـ«الإدغام الأصغر»). (ينظر: الخصائص ٢/ ١٤١).

(٢) الدر المصون ٩/ ١٦٠.

(٣) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس ص١١٩.

(٤) سورة (ق) ٥٠/ ١٠.

(٥) ينظر: معجم القراءات ٦/ ٢٣٢.

الأولى: بالسين. وهي قراءة عامة القرّاء.

الثانية: بالصاد. وقد رواها قُطْبة بن مالك[1] عن النبي -ﷺ-. وهي معدودة في القراءات الشاذة[2].

وقد جاءت القراءة بالسين، على الأصل السيني لجذر هذا الاستعمال (ب س ق). ولا محلّ للقول بإمكان أن يكون أصل هذا الاستعمال بالصاد، أي أن يكون من الجذر «ب ص ق»، على ما جاء لفظ القراءة الأخرى، وأن تكون الصاد أُبدلت سينًا. وبرهان ذلك: أن «البسوق» في الآية القرآنية قد فسِّر بـ«الطول». يقول الزمخشري (ت ٥٣٧هـ): «﴿بَاسِقَاتٍ﴾: طوالاً في السماء»[3]. ومعنى الطول هذا أصيلٌ في «ب س ق» إذ تدور سائر استعمالاته حول معنى «ارتفاع الشيء وعلوّه»[4]، كقولهم: «بَسَقَ الشيءُ: تمَّ طولُه... وفي الحديث- في صفة السحابة: كيف ترون بواسقَها؟ أي: ما استطال من فروعها... وبَسَقَ على قومه: علاهم في الفضل»[5]. وفي المقابل، لم يرد الاستعمال المذكور (نخلة باسقة) في استعمالات «ب ص ق»

(١) جاء في «الإصابة» لابن حجر (٥/ ٤٤٧): «قطبة بن مالك الثعلبي... من بني ثعلبة بن ذبيان، ولذلك يقال له الذبياني... له صحبة... روي عن النبي -ﷺ- وعن يزيد بن أرقم..».

(٢) ينظر: ابن جني: المحتسب ٢/ ٢٨٢.

(٣) الكشاف٤/ ٣٧٢. وينظر كذلك: أبو حيان: البحر المحيط ٨/ ١٢١.

(٤) ابن فارس: المقاييس (ب س ق) ١/ ٢٤٧.

(٥) اللسان (ب س ق) ١/ ٢٨٤. وينظر في حديث صفة السحابة: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ١٢٨.

أصلًا[1]. ولم يقل أحد من أئمتنا، في حدود ما طالعته من المعاجم[2] ومصنفات الإبدال[3]، بأن الأصل في هذا الاستعمال هو الصاد، وأن السين مبدلة منه. كما أن معنى الاستعمال يبدو غريبًا عن أشهر استعمالات «ب ص ق»، وهو «البَصْق» بالمعنى المعروف. فتوجيه القراءة بالسين إذن هو أنها قد جاءت على أصل جذر هذا الاستعمال.

وأما القراءة بإبدال السين صادًا، فقد وجهها أئمتنا على نحو ما وجّهوا القراءتين: («أصبغ» و«صابغات»). أي أنها كانت لإحداث التقارب بين صوت السين (المستفل المرقَّق) وصوت القاف (المستعلي النسبيّ التفخيم)، بإبدال السين إلى نظيرها المفخم: صوت الصاد. يقول ابن جِنِّي (ت٣٩٢هـ): «الأصل [أي الأصل في قراءة (باصقات)] السين،وإنما الصاد بدلٌ منها؛ لاستعلاء القاف، فأبدلت السين صادًا لتقرب من القاف؛ لما في الصاد من الاستعلاء... وهذا التقريب للحرف من الحرف بابٌ طويل منقاد»[4].

---

(١) ينظر: اللسان (بصق) ١/ ٢٩٥.

(٢) كمعاجم: المقاييس لابن فارس، واللسان لابن منظور، وتاج العروس للزَّبيدي.

(٣) كمصنفات ابن السكِّيت (ت ٢٤٤هـ)، والزجاجي (ت ٣٤٠هـ)، وأبي الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ).

(٤) المحتسب ٢/ ٢٨٢-٢٨٣. وينظر -كذلك: الزمخشري: الكشاف ٤/ ٣٧٢، وابن عطية: المحرر الوجيز ١٣/ ٥٣٤- ٥٣٥.

(س ل ق)

ورد من هذا الجذر اللغويّ استعمال قرآني واحد: «سلقوكم»، جاء مرةً واحدة، في آية قرآنية واحدة، هي قوله – سبحانه: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾[1]. وقد وردتْ فيه قراءتان[2]:

الأولى: بالسين. وهي لجمهور القراء.

الثانية: بالصاد. وهي من القراءات الشاذة، وتعزى إلى «ابن أبي عَبْلَة»[3]. وقد نصَّ الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) على أنه «لا يُقرأُ بها»[4]. وهذا على ما هو راجح من عدم جواز القراءة بالقراءات الشاذة في الصلاة[5].

وقد جاءت القراءة بالسين على الأصل السينيّ لجذر هذا الاستعمال: فقد فسِّر بـ«آذوكم بالكلام الشديد»[6]. وهذا المعنى أصيل في استعمالات

---

(١) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس ص٣٥٥. والآية المذكورة من سورة الأحزاب ٢٣/ ١٩.

(٢) ينظر: معجم القراءات ٥/ ١١٧.

(٣) يضاف إلى مصادر «معجم القراءات» في توثيق عزو هذه القراءة: ابن عطية: المحرر الوجيز ١٢/ ٣٣. وفيه: «وقرأ ابن أبي عبلة: ﴿صلقوكم﴾ بالصاد». وابن أبي عبلة هو «إبراهيم بن أبي عبلة. واسمه شَمِر بن يَقْظان... ثقة كبير تابعي، له حروف في القراءات واختيار خالف فيه العامة، في صحة إسنادها إليه نظر... وروى عنه مالك بن أنس... تُوفي سنة إحدى وقيل اثنتين وقيل سنة ثلاث وخمسين ومائة» (ابن الجزري: غاية النهاية ١/ ١٩).

(٤) ينظر: الفراء: معاني القرآن ٢/ ٣٣٩، وابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص٣٤٩.

(٥) ينظر في تفصيل ذلك: أبو شامة المقدسيّ: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ص١٨١-١٨٢، وابن الجزري: النشر ١/ ١٤-١٧.

(٦) ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص٣٤٩. وينظر كذلك: ابن عطية: المحرر الوجيز ١٢/ ٣٣، وأبو حيان: البحر المحيط ٧/ ٢١٥، والسمين الحلبي: الدر المصون ٩/ ١٠٦.

«س ل ق» الدائرة حول معنى «تأثر باطن الشيء بحدّة تنال ظاهره فتذهب صلادته ويلين»[1]، كقولهم[2]:

- انسلق لسانُه: تقشّر ظاهره.
- سَلَق ظهرَ بعيره: أَدْبره.
- سَلَقه بالسَّوْط: نَزَع جِلْدَه.
- سَلَق البيضَ والبَقْل وغيره بالنار: أغلاه «حتى وصل أثـرُ الحـرارة إلى الباطن؛ فأذهب فَجاجتَه»[3].

فمن هذه الاستعمالات- وغيرها - جاء قولهم: «سَلَقه بلسانه»: إذا آذاه بالكلام، أو أسمعه ما يكره (كلام غليظ يؤثّر في النفس)[4].

وأما القراءة بالصاد، فهي على الإبدال من السين[5]. والتوجيه الصوتيّ لهذا الإبدال، هو ذاته المقول به فيما مضى من نظائره.

هذا، ويشترك الجذران «س ل ق» و«ص ل ق» في استعمالات وردتْ بالسين والصاد معًا[6]. إلا أن ما خَلَص لـ«س ل ق» من استعمالات هو أقرب إلى معنى الاستعمال القرآني، على ما سبق توضيحه. كما أن القول بإبدال السين (المرققة) صادًا (كاملة التفخيم) لمجاورة القاف (النسبية

---

(١) د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (س ل ق) ٢/ ١٠٨٤..

(٢) ينظر: اللسان (س ل ق) ٣/ ٢٠٧١- ٢٠٧٢.

(٣) د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (س ل ق) ٢/ ١٠٨٤.

(٤) ينظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها .

(٥) ينظر: ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص٣٤٩.

(٦) ينظر: اللسان (ص ل ق) ٤/ ٢٤٨٤- ٢٤٨٥.

التفخيم)، أسوغ صوتيًّا من القول بإبدال الصاد سينًا، في ظل مجاورة القاف؛ إذ يترتب على الأول حصول تقارب أو انسجم صوتي، بتوالي صوتين مفخمين، ولا هكذا الشأن في القول الثاني.

(س ق ر)

ورد من هذا الجذر اللغويّ استعمال قرآني واحد: «سَقَر»، تردد أربع مرات، في أربع آيات قرآنية[1]. وقد أورد مصنِّفا «معجم القراءات» لهذا الاستعمال القرآني قراءةً بالصاد (صَقَر)، في أثناء عرضهما لما ورد من قراءات في آيات سورة المدثر، وتحديدًا في قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾[2].

قلتُ: والشكُّ يعتوِر صحَّة ورود هذه القراءة الصادية، بحسب (مصادر) «معجم القراءات» في إيرادها، على الأقل. وبيان ذلك: أن المصدر الوحيد، لـ«معجم القراءات» في توثيق ورود هذه القراءة، هو معجم «تهذيب اللغة» للإمام الأزهريّ (ت ٣٧٠هـ)، في ترجمته للجذر «س ق ر». وقد راجعتُ نصّ الأزهريّ فوجدته كالآتي: «قال النحويون: سَقَر: اسم معروف لجهنم، نعوذ بالله من سَقَر [وهكذا قُرئ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي صَقَرَ﴾ غير منصرف؛ لأنه معرفة، وكذلك: لظى، وجهنم]. قال الله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ. لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾»[3].

---

(١) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس ص٣٥٢.

(٢) ينظر: معجم القراءات ٧/ ١٦٥. ورقم الآية هو: ٤٢.

(٣) التهذيب (س ق ر) ٨/ ٤٠٢.

وقد نصّ محقِّق هذا الجزء من «التهذيب»[1] في هامش التحقيق، على أن ما بين القوسين المربعين- وفيه لفظ «صقر»- هو من زيادات إحدى نسخ المعجم[2]. كما أورد - في الهامش أيضًا- في بدء ترجمته لهذا الجذر (س ق ر) ما نصّه: «اختلفت النسختان (د، ج) مع نسخة (م) في عبارات هذه المادة، على صغرها وهَوان شأنها [كذا] وإن لم يختلف المعنى»[3].

ويترجّح لديَّ – بعد- أن لفظ «صقر» المستشهد به على ورود القراءة بالصاد، في النص السابق، قد تحرَّف عن «سَقَر» بالسين، لما يأتي:

- راجعتُ هذا النصَّ في «لسان العرب»- و«التهذيب» أحد مصادره- فوجدته فيه بنصه المذكور في «التهذيب»، مع استبدال لفظ «سَقَر» بـ«صَقَر»[4]. وكذا ورد النصُّ في «تاج العروس»[5].
- أن النص المتضمِّن للفظ «صقر» إنما يعلّق على ورود قراءة اللفظ بالمنع من الصرف، ويعلِّل له («وهكذا قرئ: ما سلككم في صقر. غير منصرف؛ لأنه معرفة»). وهذا يرجّح أن اللفظ في هذا النص كان على أصله بالسين (سقر)، ثم تحرَّف. وإلا فلو كان بالصاد، لاستحق تعليقًا أيَّ تعليق. هذا، ولم تتضمن ترجمة الأزهريّ للجذر «ص ق ر»

---

(١) هو الأستاذ عبد العظيم محمود.

(٢) ينظر: التهذيب (س ق ر) ٨/ ٤٠٢، الهامش رقم (٤).

(٣) الهامش رقم (٢) من الصفحة السابقة بالتهذيب.

(٤) ينظر: اللسان (س ق ر) ٣/ ٢٠٣٧.

(٥) ينظر: (س ق ر) ١٢/ ٥١.

أية إشارة إلى استعمال «صَقَر»- اسمًا لجهنم- على البدل من «سقر»، أو على غير البدل، في قراءة قرآنية، أو في غير القراءات[1].

- خلوّ المصادر المتخصصة في «القراءات»- أو المتصلة بها- مما رجع إليها «معجم القراءات»، من ذكر هذه القراءة الصادية. كما راجعتُ مصادر أخرى، ليست من مصادر هذا المعجم[2]، فلم أجد لها ذكرًا في أي منها.

وأخيرًا، فإن بقي – بعد- احتمال لورود هذه القراءة[3] (الشاذة)، فالشأن في توجيهها الصوتيّ كالشأن في نظيراتها مما سبق تناوله. أعني أن تفخيم السين- وهو أصل الاستعمال- بنطقها صادًا، كان لأجل مجاورة صوت القاف النسبي التفخيم، على ما تلتزمه بعض اللهجات العربية[4].

---

(١) ينظر: التهذيب (ص ق ر) ٨/ ٣٦٤- ٣٦٦.

(٢) مثل: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، ومعاني القرآن للزجاج (ت ٣١٦هـ)، والمحرر الوجيز لابن عطية (ت ٥٤٦هـ)، والدر المصون للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ).

(٣) ينظر: الرضي الأستراباذي: شرح الشافية ٣/ ٢٣٠ (فيه – من نص ابن الحاجب: «[وتبدل] الصاد من السين التي بعدها غين، أو خاء، أو قاف، أو طاء، جوازًا، نحو: أصبغَ.. ومسَّ صَقَرَ»). وينظر – كذلك: ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/ ٥١.

(٤) وينظر: ابن جني: المحتسب ٢/ ١٦٨.

قلت: وكذلك الشأن في قراءة «وصخّر لكم» [لقمان: ٢٠] التي أوردها معجم القراءات (٥/ ٨٩)، على الإبدال من «سخّر». فقد اعتمد المعجم في إيرادها على مصدر وحيد هو تفسير البحر المحيط ، ولكني حين راجعته (٧/ ١٨٥) لم أجد فيه ذكرًا لتلك القراءة، كما لم أجدها في مصنفات أخرى لم تكن من مصادر هذا المعجم، كمعاني القرآن للزجاج، وتفسير المحرر الوجيز لابن عطية، والدر المصون للسمين الحلبي. وأيًا ما كان الأمر، فالشأن في توجيه هذه القراءة (الشاذة) بفرض ورودها (ينظر: ابن جني: سر الصناعة ١/ ٢١٢، ابن يعيش: شرح المفصل ١٠/ ٥١) هو ذاته التوجيه المقول به في نظائرها الواردة بهذا البحث.

١ -ب- إبدال السين زايًا خالصة

سبق القول بأن صوتي السين /s/ والزاي /z/ لا يفرِّق بينهما إلا اتصاف الأول بالهمس، والثاني بالجهر. يقول عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦١هـ)- مثلاً: «... وكذلك السين امتازت عن الزاي بالهمس، ولولاه لكانت زايًا»(١).

وتتضمن مصنَّفات الإبدال في تراثنا اللغوي أمثلةً وفيرةً لاستعمالات لغوية وقع فيها الإبدال بين هذين الصوتين(٢). كما نوّه سيبويه (ت ١٨٠هـ) بإبدال السين زايًا، حين تقع ساكنةً قبل الدال، من مثل قولهم: «يَزْدُل ثوبَه» بدلاً من «يَسْدُل»(٣).

وقد تبيَّن – من استقراء «معجم القراءات القرآنية»- أن إبدال السين زايًا في القراءات القرآنية، قد وقع في استعمال قرآني واحد، هو لفظ «السِّراط» الوارد في قوله تعالى- في فاتحة الكتاب: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. وقد سبق القولُ بأن هذا الاستعمال القرآني قد وردتْ فيه أربع قراءات:

---

(١) الموضح في التجويد ص١١٢.

(٢) مما ورد من ذلك في كتاب «الإبدال» لأبي الطيّب اللغوي (ت ٣٥١هـ): «أَسْعَلْتُه، وأزْعَلْته: أنشَطته»، «تزلَّع جلدُه، وتسلَّع: تشقّق» (٢/ ١١١)، «يقال: لِقْبَض القوس: العَجْس، والعِجْس، والعَجْز، والعِجْز» (٢/ ١٢٢)، «فَحْل عجيز، وعجيس؛ وهو كالعنِّين» (٢/ ١١٦). وكذا تبادلا في بعض الكلمات المعرَّبة كـ«الكُسْب» و«الكُزْب» لعصارة الدهن [الجواليقي: المعرب ص٥٤٣- ٥٤٤، واللسان (ك س ب) ٥/ ٣٨٧١، و(ك ز ب) ٥/ ٣٨٦٩]، و«الكُزْبَرة»، و«الكُسْبرة» للنبات المعروف [اللسان (ك ز ب ر) ٥/ ٣٨٦٩، و(ك س ب ر) ٥/ ٣٨٧١].

(٣) ينظر: الكتاب ٤/ ٤٧٨- ٤٧٩. وكذا: ابن يعيش: شرح المفصَّل ١٠/ ٥٢. والفعل المذكور يأتي مزيّدا بالهمزة كذلك: أَسْدَل ثوبَه يُسدله: أرخاه [ينظر: اللسان (س د ل) ٣/ ١٩٧٥].

- بالسين الخالصة، على الأصل.
- بالصاد الخالصة، على الإبدال.
- بإشمام الصاد زايًا.
- بإبدال السين زايًا خالصة.

وقد مضى القول في القراءتين الأُولَيَيْنِ في مبحث إبدال السين صادًا، كما سيُفرَد لقراءة «الإشمام» مبحث خاص. وأما القراءة بإبدال السين زايًا خالصة، فهي محلّ اهتمامنا هاهنا:

تُعزَى هذه القراءة إلى أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ)، في رواية الأصمعي (ت ٢١٦هـ) عنه، كما تُعزَى إلى حمزة بن حبيب الزيَّات (ت١٥٦هـ)، في رواية الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) عنه[1].

والأصل في هذا الاستعمال هو السين، كما مرّ. فالقراءة بالزاي هي على الإبدال منها. وأما ترجمة بعض المعاجم لـ(ز ر ط)، فقد جاءت – في معظمها – للنص على ورود القراءة المذكورة[2].

---

(١) ينظر: معجم القراءات القرآنية ١/ ١١. ويضاف إلى مصادره في توثيق ورود هذه القراءة: الباقولي: كشف المشكلات ١/ ١٦٨، والسمين الحلبي: الدر المصون ١/ ٦٥. ويلاحظ أن ابن السراج (ت ٣١٦هـ) قد شكّك في صحة ورود القراءة بالزاي الخالصة عن أبي عمرو – وقد رواها عنه الأصمعي – فقال: «وأما [القراءة] بالزاي [الخالصة]، فأحسَبُ الأصمعي لم يضبط عن أبي عمرو؛ لأن الأصمعي كان غير نحوي... وأحسَبُ أنه سمع أبا عمرو يقرأ بالمضارعة بالزاي، فتوهّمها زايًا». أبو علي الفارسي: الحجة ١/ ٥١. وينظر كذلك: أبو حيان: البحر المحيط ١/ ١٤٣.

(٢) ينظر: (ز ر ط) في: تهذيب الأزهري ١٣/ ١٧٩، ولسان ابن منظور ٣/ ١٨٢٦، وتاج الزَّبيدي ١٩/ ٣٢١- ٣٢٢.

وأما توجيه أئمتنا لهذه القراءة، فتتمثّل في أن:

- السين صوت مهموس.
- والطاء صوت مجهور.
- فأُبدلتِ السين زايا- والزاي صوت مجهور -لتماثل الطاء في جهرها؛ قال أبو علي الفارسيّ (ت ٣٧٧هـ)- حكاية عن ابن السرّاج (ت٣١٦هـ)-: «ويقول من قرأ بالزاي : أبدلت منها حرفًا مجهورًا حتى يُشبه الطاء في الجهر»[1]. وقال الباقُولي (ت ٥٤٣هـ): «ومن قرأ بالزاي قال: الزاي إلى الطاء أقرب؛ لأنه حرف مجهور مثل الطاء»[2].

---

(١) أبو على الفارسي: الحجة ١/ ٥٠.

(٢) الباقولي: كشف المشكلات ١/ ١٦٨.

١-ج- إبدال السين تاءً

يخرج صوت التاء «مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا»[1]. وهو بذلك يكاد يكون من مخرج صوت السين؛ فلا يكاد يفرِّق بينهما إلا أن الأول صوت وقفيّ (= شديد بمصطلح قدامانا)، وأن الثاني صوت استمراريّ (= رِخْو بمصطلح قدامانا). يقول مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ): «...التاء والسين ليس فيهما إطباق، ولا استعلاء... وكلاهما مهموس. ولولا الصفير والرخاوة اللذان في السين، مع اختلاف المخرجين، لكانت تاءً. كذلك لولا الشدة التي في التاء وعدم الصفير الذي فيها، لكانت سينًا»[2]؛ فيمكن القول إذن بأن التاء هي النظير الوقفي (أو الانفجاري أو الشديد) لصوت السين[3].

وقد وطّأ هذا التقارب المخرجي بين الصوتين إلى وقوع الإبدال بينهما، في بعض الاستعمالات اللغوية. ومن ذلك مما رصدته مصنَّفات الإبدال:

- «قال الأصمعي: ويقال: الكرم من سُوسه ومن تُوسه، أي: من خليقته»[4]. وفي اللسان: «فلان من سُوس صِدْق وتُوس صدق، أي: من أصل صِدْق»[5].

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٣. وكذا: المبرد: المقتضب ١/ ٣٢٩، وابن جني: سر الصناعة ١/ ٤٧.

(٢) الرعاية ص٢١٩.

(٣) ينظر: د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٥.

(٤) ابن السكيت: الإبدال ص١٠٤. وكذا: أبو الطيب اللغوي: الإبدال ١/ ١١٥.

(٥) (س و س) ٣/ ١٥٠. وكذا: (ت و س) ١/ ٤٥٦.

- «ويقال: أخسَّ الله حظَّه، وأختَّ الله حظَّه، وهو حظٌّ خسيس وختيت»[1]. وفي «مقاييس» ابنِ فارس (ت ٣٩٥هـ): «الخاء والتاء ليس أصلاً؛ لأن تاءه مبدلة من سين. يقال: خَتِيت، أي: خسيس»[2].

وقد دل استقراء «معجم القراءات القرآنية»، على ورود قراءة قرآنية واحدة (شاذة)، أُبدلت فيها السين تاءً. تلكم هي قراءة «النات»، بدلاً من «الناس»، في قوله تعالى- في أول سورة الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[3].

ومصدرا «معجم القراءات القرآنية» في إيراد هذه القراءة، هما «مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، و«هَمْع الهوامع» للسيوطي (ت ٩١١هـ). فأما كتاب ابن خالويه، ففيه: «﴿بِرَبِّ النَّات﴾، بالتاء، حكاه أبو عمرو أنها لغة لقُضَاعة. قال ابن خالويه: زعم أهل اللغة في كتب القلب والإبدال أن العرب تقول في الناس: النات، وقوم أكْيات، أي: أكْياس»[4]. وأما «هَمْع» السيوطي، ففيه: «وقد أبدلت العربُ سين (سيّما) تاءً، فقالوا: (لا تيّما)، كما قالوا في الناس: النات. وقرئ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّات﴾[5]».

---

(١) أبو الطيب اللغوي: الإبدال ١/ ١١٨. وينظر كذلك: اللسان (خ ت ت) ٢/ ١٠٩٩، و(خ س س) ٢/ ١١٥٧.

(٢) (خ ت ت) ٢/ ١٥٨.

(٣) معجم القراءات القرآنية ٨/ ٢٨١. ويضاف إلى مصادره في إيراد هذه القراءة: أبو الطيب اللغوي: الإبدال ١/ ١١٨.

(٤) مختصر في شواذ القرآن ص١٨٣.

(٥) همع الهوامع٣/ ٢٩٥.

ويتردد في هذا السياق شاهدٌ شعري بعينه، أُبدل فيه لفظ«الناس» إلى «النات» ولفظ «أكياس» إلى «أكيات»، وهو قول الراجز[1] (عِلباء بن أرقم/ جاهليّ):

ياقبَّح الله بني السِّعلاةِ
عمرَو بنَ يربوعٍ شرارَ الناتِ
غيرَ أعِفّاءَ ولا أكيـاتِ

ولم يرد في المصدرين المذكورين توجيهٌ لهذه القراءة (الشاذة)، واجتُزِئ عن ذلك بذكر أن وقوع الإبدال بين صوتيّ السين والتاء هو مما جرت به ألسنة العرب، أو قَبيلٌ منهم خاصة (قبيلة قضاعة)[2]؛ لتقاربهما. يقول ابن جني (ت ٣٩٢هـ)- في تعليقه على الشاهد المذكور: «... فأبدل السينَ تاءً؛ لموافقتها إياها في الهمس والزيادة وتجاور المخارج».

---

(١) ينظر: أبو زيد الأنصاري: النوادر في اللغة ص٣٤٥، وابن السكيت: الإبدال ص١٠٤، وأبو على القالي: الأمالي ٢/ ٦٨- ٦٩، وأبو الطيب اللغوي: الإبدال ١/ ١١٨، وابن خالويه: مختصر في شواذ القرآن ص١٨٣، وابن جني: سر الصناعة ١/ ١٥٥، والخصائص ٢/ ٥٣، وابن سيده: المخصص ١٣/ ٢٨٣ (باب الإبدال)، والرضى الأستراباذي: شرح الشافية ٣/ ٢٢١. وينظر كذلك: (ن و ت) في الصحاح ١/ ٢٦٩، واللسان ٦/ ٤٥٧٠، والتاج ٥/ ١٣٠ (وفي الرجز رواية أخرى هي: ليسوا أعفّاءَ....).

(٢) ينظر: «التعقيب» على هذا المبحث.

١ -د- تعقيب

يتضمن هذا التعقيب ما يأتي:

- تعليقًا على توجيه قراءتي «الصراط»و «الزراط».
- تعليقًا عامًا على اطّراد إبدال السين صادًا في مجاورة الأصوات المفخمة.
- تعليقًا على إبدال السين في مجاورة الأصوات المستعلية.
- المعالجة الصوتية الحديثة لصور الإبدال الواردة في المبحث.

وأُقدم بين يدي هذا التعقيب مَسْردًا ألفبائيًا بالقراءات القرآنية الواردة في هذا المبحث، مرتّبًا حسب الجذور اللغوية التي ترجع إليها تلك القراءات.

الجذر اللغوي	أصل الاستعمال القرآني	قراءاته على الإبدال
• ب س ط	يبسُط – بَسْطة	يبصُط – بَصْطة
• ب س ق	باسقات	باصقات
• س ب غ	أسبغَ – سابغاتٍ	أصبغَ – صابغات
• س ر ط	السِّراط	الصراط – الزراط
• س ط ر	المسيطرون – بمُسَيْطِر	المصيطرون – بمصيطر
• س ط و	يَسْطون	يَصْطون
• س ق ر	سَقَر	صَقَر
• س ل ق	سلقُوكم	صلقُوكم

الجذر اللغوي	أصل الاستعمال القرآني	قراءاته على الإبدال
• ط و ع	اسطاعوا (استطاعوا)	اصْطاعوا
• ق س ط	القِسْط	القصط
• ق س ط س	القِسْطاس	القُصْطاص
• ن و س	الناس	النات
• و س ط	الوُسْطى – أَوْسط – فوَسَطْن	الوُصْطى – أوصط – فوصطن

١-د-١- تعليق على توجيه قراءتي: «الصِّراط»و «الزِّراط»

ذهب أئمتنا – على ما سبق تفصيله – في تفسير إبدال السين صادًا خالصة في قراءة «الصِّراط»، وزايًا خالصة في قراءة «الزِّراط»، إلى القول بأن ذلك كان لمجاورة السين للطاء:

- من حيث صفة التفخيم فيها، في قراءة «الصراط».
- ومن حيث صفة الجهر فيها، في قراءة «الزراط».

قلت: ولا يبعُد – بعد- أن يكون للراء في لفظ «الصراط» - خاصة- دورٌ في تفخيم السين (= إبدالها صادًا)، على ما ذهب إليه بعض علمائنا المحدثين(١).فلصوت الراء، من حيث ترقيقه وتفخيمه، سياقاتٌ صوتية معروفة عيّنها علماء التجويد(٢). ومن السياقات الصوتية التي تفخَّم فيها الراء «أن تكون مفتوحة»(٣)، كما هو الشأن في لفظ «الصراط»، فراؤه متبوعة بفتحة طويلة.

---

(١) ينظر مثلاً: د. عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص١٤٩.

(٢) ينظر: مثلاً: أبو عمرو الداني: التحديد في الإتقان ص٣٣٣- ٣٤٢، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح في التجويد ص١٠٦- ١١٠، وعَلَم الدين السخاوي: جمال القرّاء ٢/ ٥٤٠- ٥٤١، وابن الجزري: النشر ٢/ ٩٠- ١١١، وساجُقْلي زاده: جهد المُقِلّ ص٩٤- ١٠٢. وينظر كذلك: د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٦٦- ٦٧، ود. تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص١٣٢، ود. كمال بشر: علم الأصوات ص٤٠٤- ٤٠٧، ودراسات في علم اللغة ص٢١٠- ٢١٣، وبرتيل مالمبرج: علم الأصوات ص١١٨- ١١٩ (من كلام المترجم د. عبدالصبور شاهين في دراسة له ألحقها ببعض فصول الكتاب).

(٣) عبد الوهاب القرطبي: الموضح ص١٠٨. ومما مثَّل به على ذلك لفظ «الصراط». ويلاحظ أن تفخيم الراء المفتوحة مطلقًا هو مما يلتزمه جميع القراء «إلا من أمال منها شيئًا فإنه يرقّقه، وإلا ورشًا فإنه يرقّقها بعد الياء الساكنة...، نحو: (طيرًا) و(خيرًا). وبعد الكسرة ==

فليس ثمة ما يمنع من القول بأن تفخيم السين، إنما كان لمجاورة الراء المفخمة. يَدْعَم ذلك أن أئمتنا من علماء التجويد قد نبَّهوا – في سياق آخر – إلى أهمية التعمُّل في ترقيق صوت السين، إذا جاور صوت الراء (المفخم)، وإلا فخِّمت السين؛ فصارت صادًا. يقول الإمام أبو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ): «وإن اتصل [أي صوت السين] براء تُوصِّل إليه برقّة ورفق، وأُخلص تفخيم الراء، وإلا ربما انقلب صادًا، وذلك نحو: ﴿سَرْمَدًا﴾ [القصص: ٧٢]، و﴿فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١]، و﴿مَنْ أَسْرَفَ﴾ [طه: ١٢٧]، و﴿مَا تَيَسَّرَ﴾ [المزمل: ٢٠] وما أشبه»[1]. ويقول عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦١هـ): «واحْذر أن تنقلب السين في ﴿إِسْرَائِيلَ﴾ [البقرة: ٤٠]» وما جرى مجراه صادًا بذهاب انفتاحها (= ترقيقها))»[2]. وقد وردتْ أمثلة أخرى في كلام العرب، أُبدلت فيها السين صادًا، وفسِّر ذلك بمجاورة الراء المفخمة، كقول بعض العرب: «أَرْصَح» بدلاً من «أَرْسح»، للرجل الخفيف لحم الأليتين[3].

== اللازمة المتصلة في بعض المواضع، سواء حال بين الكسرة والراء المفتوحة ساكن، نحو: (الشِّعر)، أوْلا، نحو: (سِراجًا). وكذا يرقّق الأولى من قوله ﴿بِشَرَرٍ﴾ [المرسلات: ٣٢]؛ من أجل كسرة الراء الثانية بعدها» (محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد ص٩٥).

(١) التحديد في الإتقان ص٣٢٢- ٣٢٣.

(٢) الموضح في التجويد ص١١٣.

(٣) ينظر: اللسان (ر ص ح) ٣/ ١٦٥٣. وينظر في تفسير ذلك الإبدال في ضوء مجاورة الراء (المفخمة): د. رمضان عبد التواب: التطور اللغوي ص٣٨. وقد أورد أمثلة إضافية من العامية المصرية فُخمت فيها السين لمجاورة الراء (المفخمة)، مثل: «أخْرَص» بدلاً من «أخرس» و«رَفَص» بدلاً من «رَفَس».

وكـذا لا يبعُـد، بـل لعلـه الأرجـح، أن يكـون جهـر الـسين (= إبدالها زايًـا خالـصة)، في قـراءة «الـزراط»، بـسبب مـن مجـاورة الـراء، لا الطـاء. فـالراء مجهـورة كالطـاء، وتزيـد أنهـا الأقـرب موقعًـا مـن الـسين.

ومن نظـائر ذلـك: إبـدال لفـظ «سرّاد» - بمعنـى صـانع حِلَـق الـدروع- إلى «زرّاد»[1].

---

(١) ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص٣٥٤. وينظر كذلك: اللسان (زرد) ٣/ ١٨٢٤.

١-د-٢- تعليق على عدم اطّراد إبدال السين صادًا في مجاورة الأصوات المفخَّمة

يلاحظ أن مناط التوجيه الصوتي للقراءة بالصاد الخالصة، في «الصراط»، و «المصيطرون»، و«بمصيطر»، و«يبصُطُ»وغيرها- وهو مجاورة السين المرققة للطاء المفخّمة وإبدالها لذلك صادًا مفخمة، على ما التزمته بعضُ اللهجات العربية- يلاحظ أن مناط هذا التوجيه قد توافر في استعمالات قرآنية أخرى، دون أن يرد في أيٍّ منها قراءةٌ بالصاد، على ما تبيَّنْتُه من استقراء «معجم القراءات القرآنية»:

- فمن الجذر (س ط ر)- وقد أُبدل من استعمالاته «المصيطرون» و«بمصيطر» - ورد مما لم ترد فيه قراءة بالإبدال: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[١]، و﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾[٢]، و﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[٣]، وغيرها[٤]. ومن (س ب ط) ورد: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾[٥]، وغيرها[٦]. ومن (س و ط) ورد: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[٧]... وغير ذلك كثير[٨].

---

(١) القمر ٥٤/ ٥٣.

(٢) الفرقان ٢٥/ ٥.

(٣) القلم ٦٨/ ١.

(٤) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٣٥٠.

(٥) الأعراف ٧/ ١٦٠.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس ص٣٤٠.

(٧) الفجر ٨٩/ ١٣.

(٨) ينظر المعجم المفهرس (س خ ط) ص٣٤٨، و(س ط ح) ص٣٥٠، و(س ق ط) ص٣٥٢، و(س ل ط) ص٣٥٤- ٣٥٥.

كما وردت السين في مجاورة أصوات القاف والغين والخاء، في كثير من الألفاظ القرآنية(١)، دون أن يرد فيها قراءةٌ بإبدال السين صادًا، عدا ما ذُكر في المبحث من قراءات (شاذة) وقع فيها ذلك الإبدال.

والسؤال بعدُ: إذا كان مناط التوجيه الصوتيّ الذي عيَّنه أئمتنا للقراءة بإبدال السين صادًا، متحقِّقًا في الاستعمالات القرآنية التي ذكرتها توًّا -وغيرها كثير- فما تفسير عدم ورود قراءات فيها بذلك الإبدال، كما كان الشأن في نظائرها الواردة في هذا المبحث (الصراط- المصيطرون- يبصُط...)؟

إن تفسير ذلك يتعلق ببعض المراحل التاريخية التي مرت بها القراءات القرآنية(٢) قبل أن تستوي على قراءتها العشر (المتواترة) والأربع (الشاذة) المتممة لها. وبيان ذلك يمكن إجماله كما يأتي:

- كانت القراءة في الطبقتين السابقتين لطبقة أئمة القراءات المعروفين، أعني طبقتي الصحابة والتابعين، غنيةً بصور الأداء القرآني. فالصحابة- رضوان الله عليهم - كانوا يتلقَّوْن عن النبي -ﷺ- ثم إنهم- أو بعضهم- كانوا يؤدون ما تلقوه عن النبي الكريم بلهجاتهم الخاصة، تمتُّعًا برخصة الحديث المتواتر: «إن هذا القرآن أُنزل على

---

(١) ينظر – مثلًا: المعجم المفهرس (س ق ي) ص٣٥٢- ٣٥٣، و(س و ق) ص٣٧٢، و(س ي غ) ص٣٧١، و(ن س خ) ص٦٩٨.

(٢) ينظر في تفصيل القول في تتبع هذه المراحل منذ النشأة حتى الاستواء: د. عبد الهادي الفضلي: القراءات القرآنية (تاريخ وتعريف) ص١٣- ٥٢ (جعلها ست عشرة مرحلة).

سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسَّر منه»[1]. ومن ذلك ما ورد من أن سيدنا ابن مسعود كان يُقرئ الناس بلهجته الهذلية[2]. ولعل بعض التابعين صنع ذلك أيضًا.

- جاء أئمة القراءات المعروفون بعد ذلك، فـ«اختار»[3] كلٌّ منهم قراءةً يُقرِئ بها حَسَبَ إمكانية السند أو الرواية؛ يقول مكيّ (ت٤٣٧هـ): «... واحتاج كلُّ واحد من هؤلاء القراء أن يَأخُذ مما قرأ، ويترك. فقد قال نافع: قرأتُ على سبعين من التابعين: فما اجتمع عليه اثنان أخذتُه، وما شَكّ فيه أحدٌ تركتُه، حتى اتبَّعتُ هذه القراءة»[4]. وبملازمته لهذه القراءة، ومداومته عليه «أُضيفت إليه دون غيره من القرّاء. وهذه الإضافة إضافةُ اختيارٍ، ودوام، ولزوم، لا إضافةُ اختراعٍ، ورأيٍ، واجتهاد»[5].

---

(١) الحديث محور للكثير من الدراسات. ينظر – مثلاً– من مصادرنا التراثية: أبو شامة المقدسي: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ص٧٧– ١٤٥، وابن الجزري: النشر ١/ ١٩– ٣١. وقد أفرد أبي وشيخي – رفع الله مقامه في عليين– هذا الحديث بكتاب أسماه: «القضية القرآنية الكبرى: حديث نزول القرآن على سبعة أحرف» حدَّد فيه المراد من الأحرف السبعة تحديدًا علميًا، كما هو دأبه في كل مؤلفاته، وفقنا الله – تعالى– إلى فقه علمه، ونشره بين الناس.

(٢) ينظر: أبو شامة المقدسي: المرشد الوجيز ص١٠١.

(٣) ينظر في تفصيل القول في عنصر الاختيار في القراءات: د. عبد الحليم بن محمد الهادي: القراءات القرآنية (تاريخها، ثبوتها، حجيتها، أحكامها) ص٢٦٢– ٢٦٧.

(٤) الإبانة عن معاني القراءات ص١٦– ١٧.

(٥) ابن لجزري: النشر ١/ ٥٢.

- تأَتّى من عنصر «الاختيار» هذا، أنْ تنوَّعتْ صور الأداء عند الإمام الواحد، بمعنى أنه لم يلتزم في اختياره بلهجة بعينها؛ فاجتمعتْ في أدائه عدّةُ لهجات. ثم إن الآخذين عن الإمام التزموا بعين ما تلقوه عنه، ولم يأخذوا بأية لهجة أو قراءة غير مسندة إلى شيخهم، أو شيوخه.
- على ما سبق، يتبيّن مأتى عدم اطّراد بعض الظواهر القرآنية، ومنها إبدال السين صادًا في مجاورة بعض الأصوات المفخمة (ط – ق – غ – خ)، وأن ذلك بسبب تنوُّع لهجات الذين أُخذت عنهم القراءات ، في مرحلة الاختيار.

١ -د – ٣- تعليق على إبدال السين في مجاورة الأصوات المستعلية

تميَّزت القراءات القرآنية التي أُبدلت فيها السين صادًا في مجاورة صوت مستعلٍ غير مطبق (ق –خ- غ)، بمجيء تلك الأصوات المستعلية غير المطبقة: إما متبوعة بفتحة: طويلة (باصقات- صابغاتٍ)، أو قصيرة (أصبغَ – صَقَرَ)، وإما متبوعة بضمة طويلة (صلقُوكم).

ويتسق هذا-من حيث تفسيره فونولوجيًّا- مع ما قرره علماء التجويد- ووافقهم عليه المحدثون- من أن هذه الأصوات إنما تكتسب تفخيمها النسبيّ، وبالتالي قدرتها على التأثير على مجاوراتها المرققة على نحو ما يرجِّح وقوعه في القراءات المعنيّة، حين تكون مفتوحةً أو مضمومة في المقام الأول. يقول ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «المفخَّمات على ثلاثة أضرب: ضرب يتمكّن التفخيم فيه، وذلك إذا كان أحد حروف الاستعلاء مفتوحًا. وضرب دون ذلك، وهو أن يقع مضمومًا. وضرب دون ذلك، وهو أن يكون مكسورًا»(١). ويقول د. كمال بشر: «وأصوات الضرب الثاني من التفخيم هي: القاف والخاء والغين. وتفخيمها بينَ بينَ. و البينية هذه تظهر في سمتين متلازمتين هما: أن تفخيمها أقل درجة من تفخيم أصوات النوع الأول [يقصد الأصوات المطبقة]، وأن هذا التفخيم (الضعيف) نسبيًّا إنما يظهر عندما يتلو هذه الأصوات ضمٌّ أو فتح (قصير أو طويل). ولكنه يختفي –أو يكاد- عند كسرها، إذ هي –حينئذ- إلى الترقيق أقرب»(٢).

---

(١) النشر ١/ ٢١٨. وينظر كذلك: مُلّا علي القاري: المنح الفكرية (شرح المقدمة الجزرية) ص٣٢- ٣٣، وساجقلي زاده: جهد المقل ص٧١.

(٢) دراسات في علم اللغة ص٢١٠. وينظر كذلك: برتيل مالمبرج: علم الأصوات ص١١٨ (من كلام المترجم د. عبد الصبور شاهين في دراسة ألحقها ببعض فصول الكتاب).

١-د-٤- المعالجة الصوتية الحديثة لصور الإبدال الواردة في المبحث

يتفق الدرس الصوتيُّ الحديث- إجمالاً في تفسيره وتعليله لإبدال صوت السين في تجلياته القرائية، مع ما قرره أئمتنا في هذا الصدد. ويكاد ينحصر الفرق في الإطار التنظيمي والمصطلحي، وبيان ذلك كما يأتي:

يمكن وصف الأصوات التي أُبدل منها «فونيم» السين، في تلك القراءات، وهي: الصاد، والزاي، والتاء، بأنها تمثِّل صورًا- أو تنوعاتٍ- نطقيةً (ألوفونات **allophones**) لذلك الفونيم(١). والسبب في ذلك هو أن هذه القراءات القرآنية لم تُفْض إلى حصول تغير في معنى الاستعمال القرآني، على حسب أصله اللغويّ. وهذا هو الفرق الأهمّ بين عَدِّ صوت ما «فونيمًا»، أو مجرّد«ألوفون» لفونيم آخر، على ما هو متعالَم مقرَّر في الدرس الصوتيّ الحديث(٢).

ومنشأ عدم حصول تغيُّر في المعنى، بهذه الألوفونات التي اشتملتْ عليها القراءاتُ القرآنية المعنيّة هنا، هو -على ما تبيَّن بالدرس- أحد أمرين:

---

(١) الفونيم- كما هو مشهور مقرَّر- أصغر وحدة صوتية (مجرَّدة) يمكن أن تميز بين كلمتين (ينظر مثلاً: **Aitcheson, Linguistics. p. 39**). وأما «الألوفون»، فيمثل التنوعات النطقية (الفعلية) للفونيم الواحد، واستبدال أيٍّ منها بالآخر لا يسبِّب تغيُّرًا في المعنى (ينظر مثلاً: **Roach, English Phonetics, p. 38**). وينظر في تأصيل مفهومي هذين المصطلحين لدى أئمتنا: د. محمد حسن جبل: المختصر في أصوات اللغة العربية ص١٥٧-١٦٢.

(٢) ينظر تلخيص القول في ذلك: **Roach, English Phonetics, p. 38**، ود. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة ص٣٨، ٣٨، ود. محمد حسن عبد العزيز: مدخل إلى اللغة ص٨٢- ٨٦، ود. كريم حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة ص١٧٣- ١٧٧.

الأول: عدم اشتمال العربيــة – أصلًا- على جــذور لغويــة، يمكــن – ظاهرًا- إرجاع بعض هذه القراءات القرآنية إليها. فـلا تـشمل العربيـة- مـثلاً- عـلى «ص ر ط» ولا «ز ر ط»، ولا«ب ص ط»، ولا«و ص ط»، ولا«ص ط و»... وما أفردتْ له ترجمة من هذه الجذور، فإنما كـان لبيـان أن استعمالاته مبدلةٌ من نظائرها ذات الجـــذور السينيـــة الأصل. وعلى ذلك، فلا مجال أصلاً لحصول تغير – أو إلباس – في المعنى، في مثل هذه الطائفة مـن القراءات القرآنية. وقد كان عـدم الإلبـاس هـذا، مما حـسَّن لابـن الـسرَّاج (ت٣١٦هـ) اختيار القراءة بالصاد في «الصراط»؛ إذ «إنما يقع الإلباسُ لـو التبستْ كلمة بالسين بكلمة بالصاد في معنيين مختلفين»[1].

الثاني: أن ما صادف مـن بعـض تلـك القـراءات جـذورًا (صـادية أو زائية) يمكن – ظاهرًا- أن ترجع إليها، فقد كان المعنـى مرجِّحًـا عـلى نحـو جِدّ واضح، لانتساب تلك القـراءات إلى الجـذور الـسينية. فمـثلًا: تـشتمل العربيةُ عـلى الجـذر «ص ب غ»، وقـد وردت قراءتـان يمكـن – ظـاهرًا- إرجاعهما إليه (أَصْبَغَ- صابغاتٍ)، إلا أن المعنى قد رجّح ترجيحًا إرجاعَهما إلى ا لجذر السيني (س ب غ)، على ما سبق تفصيله. وعليه، فقد ظلت الصاد في هاتين القراءتين- ونحوهما- صورةً نطقية لصوت السين.

هذا، ويلاحظ بعد:

- أن «الألوفونات» التي تشتمل عليهـا القـراءات المعنيَّـةُ هنـا، أعنـي: الصاد [ṣ]، والزاي[z]، والتاء [t] ، تمثّل في سياقات أخرى فـونيمات ذات وظيفة بنائية دلالية، في النظام الصوتيّ للعربية. وأقترح- هاهنـا-

(١) أبو علي الفارسي: الحجة ١/ ٥٠.

تسمية مثل هذه الألوفونات بـ«الألوفونات غير المحضة»، تمييزًا لها عمّا أقترح تسميتَه بـ«الألوفونات المحضة». وأعني بتلك الأخيرة الألوفونات التي لا تمثّل في أي سياق آخر فونيمًا مستقلاً في النظام الصوتيّ للغة موضع الدرس. فتعرض فونيم الشين / ʃ / - مثلاً- للجهر، في كلمة «مشغول» في اللهجة المصرية، ينشأ عنه ألوفون لهذا الفونيم يشبه الجيم الشامية[1] [ʒ]. ولا يمثّل هذا الألوفون، في أي سياق آخر، فونيمًا مستقلاً من فونيمات العربية الفصحى.

- أن بعض هذه الألوفونات- أو الصور النطقية- التي جاءت عليها القراءات القرآنية المعنيّة لفونيم السين، تجسّد خصيصةً فونولوجية للنظام الصوتيّ للعربيّة، في بعض تجلياته النطقية: العامة أو الخاصة[2].

فنطق السين صادًا قبل الطاء، أو القاف، أو الغين، (أو الخاء)، هو مما يجري على ألسنة العرب عامة، أو مما اشتُهر على ألسنة قبائل منهم خاصة.

---

(١) ينظر د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٧٨.

(٢) ينظر في تفاصيل العزو اللهجي لإبدال السين صادًا أو زايًا من المصادر الحديثة: د. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية ص١٢٨- ١٣٠، ود. أحمد علم الدين الجندي: اللهجات العربية في التراث ٢/ ٤٤٣- ٤٤٩، ود. عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص١٤٧- ١٤٨، وكانتينو: دروس في علم أصوات العربية ص٧٢- ٧٤ (أورد أمثلة لهذا الضرب من الإبدال في بعض اللهجات العربية الحديثة)، ورابين: اللهجات العربية الغربية القديمة ص٣٤٤- ٣٤٥، ود. البدراوي زهران: في علم الأصوات اللغوية ص٢٣٧، ود.الموافي الرفاعي: خصائص لهجتي تميم وقريش ص١٠٩- ١١٤، ود. صالحة راشد آل غنيم: اللهجات العربية في الكتاب لسيبويه ص٢٤١- ٢٤٤. ود. محمد خان: اللهجات العربية والقراءات القرآنية (دراسة في البحر المحيط) ص١٩٧- ٢٠٢.

جاء في تهذيب الأزهري (ت ٣٧٠هـ): «وقال الفراء: إذا كان بعد السين طاءٌ، أو قاف، أو غين، أو خاء، فإن تلك السين تُقلب صادًا. قال: ونفر من بِلْعَنْبَر يصيّرون السين إذا كانت متقدِّمةً ثم جاءت بعدها طاءٌ، أو قاف، أو غين، أو خاء، صادًا»(١). ويقول الزجّاج (ت ٣١١هـ): «وكل سين بعدها طاء يجوز أن تُقلب صادًا، تقول: سَيْطر وصَيْطر، وسطًا وصطًا»(٢). كما عُزي نطق السين صادًا في لفظ «الصراط» خاصة، إلى «قريش»، ونطقها زايًا خالصة في اللفظ نفسه إلى «عُذْرة» و«كَلْب» و«بني القين»(٣). وعُزِي إبدال السين تاءً، في القراءة الشاذة ﴿برب النات﴾ - فيما عزي - إلى قبيلة «قُضاعة»(٤).

وأما تكوُّن هذه الألوفونات - أو الصور النطقية - فيُمكن تفسيره، في الدرس الصوتيّ الحديث على أنه ضرب من ضروب المماثلة الصوتية assimilation، على ما ذهب إليه بعض علمائنا المحدثين(٥). والمماثلة

---

(١) (سرط) ١٢/ ٣٣٠ ويلحظ ما في كلام الفراء من تعميم ثم تخصيص (ولم أعثر على هذا النص في كتاب «معاني القرآن» للفراء).

(٢) معاني القرآن ٥/ ٦٦.

(٣) ينظر: أبو حيان: البحر المحيط ١/ ١٤٣ - ١٤٤. وينظر كذلك: الأزهري: التهذيب (س ر ط) ١٢/ ٣٣٠، والزمخشري: الكشاف ١/ ٢٥.

(٤) ينظر في تفصيل القول في العزو اللهجي لهذا الإبدال: د. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية ص١٠٥، ود. أحمد علم الدين الجندي: اللهجات العربية في التراث ٢/ ٣٨٤ - ٣٨٥، ود.رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية ص١٥١ - ١٥٢.

(٥) ينظر -مثلاً: د/ أحمد علم الدين الجندي: اللهجات العربية في التراث ٢/ ٤٤٦، ود.عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص١٤٩.

الصوتية- على ما هو معروف - هي إحدى (العمليات) الفونولوجية التي تشير إلى «التأثير الذي يحدثه صوتٌ ما، على نطق صوت آخر، بحيث يصبح هذان الصوتان متشابهين، أو متطابقين»[1]. وهذا الضرب من التأثير هو عيْن ما وقف عليه أئمتنا (رَصْدًا وتفسيرًا)، حين فسَّروا- في مقامنا هذا[2]- إبدال السين (المرققة) صادًا (مفخَّمة)، إلى تأثير الصوت المفخم المجاور لها، على ما سبق تفصيلُه.

ويشمل التأثير الذي قد يُحدثه صوت ما، على نطق صوت آخر، بفعل المماثلة، حصولَ تعديل في[3]:

- المخرج [4] place of articulation
- أو كيفية النطق[5] .manner of articulation

---

(١) Crystal, A Dictionary of Linguistics and Phonetics, p.30.، وينظر كذلك: د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٧٩.

(٢) وينظر في تأصيل إشارة سيبويه لظاهرة المماثلة (في الكلام العربي عامة):د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٠٤- ٢٠٧.

(٣) ينظر: - Roach, English phonetics, p. 139.
- Poole, An Introduction to Linguistics, p. 53.

(٤) مما مثّل به Poole - في المرجع السابق- للتغيير في المخرج: unbelievable ؛ حيث تحوّلت الـ[n] إلى[m] لتماثل الـ[b] التالية في الشفوية (المخرج). ومثْل ذلك قلب النون الساكنة قبل الباء ميمًا، في إحكام تجويد القرآن الكريم، كـ«أنْبئهم» (ينظر: د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٨٧).

(٥) كما في التحول من صوت وقفي إلى آخر استمراري، أو من مرقق إلى آخر مفخم. وقد مثّل Roach لذلك بمثل: that side ؛ حيث يتحول الصوت الوقفي /t/ إلى ==

- أو صفة الجهر أو الهمس[1].

فإذا اعتبرنا مجالات التعديل تلك، وأضفنا إليها التقسيمات المقررة للمماثلة (اتجاه التأثير، ودرجته، وموقعيه الصوتيين: المؤثِّر والمتأثر)[2]، أمكننا أن نصنّف تفسير تكوُّن الصور النطقية التي اشتملتْ عليها القراءات القرآنية في مبحثنا هذا على النحو الآتي:

== صوت استمراري /s/ في الكلام المتصل (English Phonetics, p. 140). ومثله إدغام التاء في السين في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ [يوسف: ١٩] عند من يقرأ بذلك (ينظر: د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٨٧، ١٩٢). وكذا إبدال السين (المرققة) صادًا (مفخمة) في «الصراط» (ينظر: د. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوية ص٣٨٠).

(١) مما مثل به Roach لذلك: إجهار الـ /s/ (مورفيم الجمع) لتصبح [z] إذا وقعت بعد صوت مجهور: dogs ⟵ [dogz] (English phonetics, p. 141) ومثل ذلك قول العرب: «أَزْعَلته»- بمعنى: أنشطته- بدلاً من «أسعلته»، بتأثير العين المجهورة المجاورة (ينظر: أبو الطيب اللغوي: الإبدال ٢/ ١١١).

(٢) ينظر في ذلك في المصادر الأجنبية: - Roach, English phonetics, p.138-142.

- Yule, the Study of Language, p. 59.
- Moscati, An Introduction to Comparative Grammar of the Semitic Languages pp. 56- 58.

(تحدث عن كل تقسيمات المماثلة مفسِّرًا في ضوئها تبادل الأصوات في اللغات السامية خاصة)، وبرتيل مالمبرج: علم الأصوات ص١٤١- ١٤٤).

وينظر من المصادر العربية: د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٧٩ - ١٨٣، ود. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة ص٨٥- ٨٧، ود. فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ص١٩٠- ١٩١.

أولاً: المماثلة في كيفية النطق

يشمل هـذا المجـال مـن مجـالات المماثلـة، كـلَّ الـصور النطقيـة التـي اشتملتْ عليها قراءاتُ هذا المبحث (عدا قراءة «الزراط» بالزاي الخالصة)، حيث تغيّرتْ كيفيةُ النطق- أو هيئته- مع كلٍّ من هذه الصور النطقيـة، مـن وضعية الترقيق إلى وضعية التفخيم. وقد اتسمتْ كلٌّ صـور المماثلـة في هـذا المجال بأنها:

- خلفية**regressive**، حيث وقعت الـسين (الـصوت المتـأثر)، في كـل القراءات المعنية، سابقةً على الأصوات المفخّمة (المؤثِّرة)؛ فكـان اتجـاه التأثير راجعًا مـن اللاحـق صـوب الـسابق. وتُـسمَّى تلـك المماثلـة- كذلك- بالمماثلة الاسـتباقية **anticipatory**، وهـي تـسمية تـشير إلى التكييف العضويّ لحدوث هذا النوع من المماثلـة «فـنحن حـين نتهيَّـأ لنطق فـونيم مـا، نفكّـر فعليًّـا في نطـق الفـونيم التـالي لـه»(١) ، أي أن «أعضاء النطق تتهيَّأ لإبراز خاصية صوت مـا أثنـاء نطـق صـوت أو أصـوات سـابقة لـه»(٢). وهـذا يعنـي - في مقامنـا هـذا- أن اللـسان (العضو الناطق) يستبق اتخاذ وضعية النطق بالأصوات المفخمة التالية للسين، قبل النطق الفعلي بتلك الأصوات؛ مما يفضي إلى تفخيم السين كذلك؛ فتصير صادًا.

---

(١) **Finch, How to Study Linguistics, p. 80.**

(٢) عبد الفتاح إبراهيم: مدخل في الصوتيات ص١٦٢.

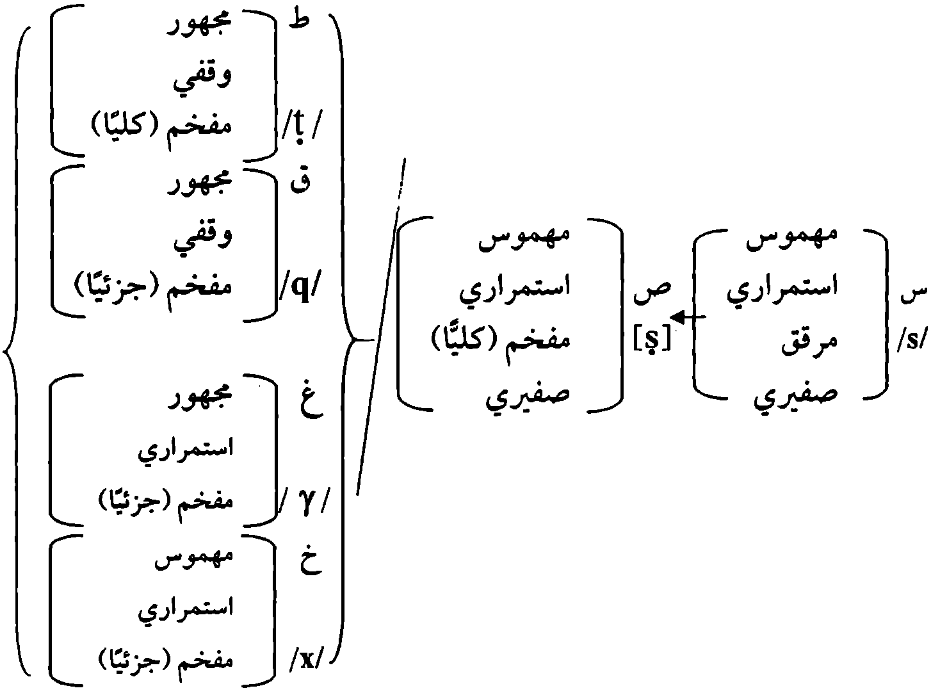
- وأنها جزئيـة partial؛ إذا تحوّلـت السين إلى صـاد، بتـأثير الـصوت المفخم المجاور (ط – ق – غ)، على ما قرر أئمتنا. ولم تطابق السين أيًّـا من هذه المجاورات المفخمة؛ فتكون المماثلة كلية total .

وأما من حيث العلاقة الموقعية بين الصوتين: المـؤثِّر والمتـأثر، فتـشمل المماثلة في مجالها هذا قسمي المماثلة من هذه الحيثية، وهما:

- المماثلة التجاورية contiguous، حيث لا يفصل بين الصوتين فاصل. ويشمل ذلك الصورَ النطقية التي اشـتملتْ عليهـا القـراءاتُ الآتيـة: «بَصْطة»، «اصْطاعوا»، «القصْط»، «القصْطاس»،«الوُصطْى».
- المماثلة التباعدية non- contiguous ، حيث يكون هناك فاصل بـين الصوتين المعنيين. ويشمل هذا القسم من المماثلة الصور النطقيـة التـي اشتملتْ عليها القراءاتُ القرآنية الآتية:

القراءة القرآنية	الفاصـــــــل
«يبصُط»، «باصقات»، «صَقَر»، «أوْصَط»، «فوَصَطْن».	صائت قصير
«المُصَيطرون»، «بمُصَيْطر»	صائت قصير + شبه صائت semi-vowel
«الصراط»، «صَلَقوكم».	صائت قصير + صامت + صائت قصير
«صابغاتٍ»	صائت طويل + صامت + صائت قصير
«أصْبَغَ»	صامت + صائت قصير

ويمكننا – بعد- صياغة تلك المماثلة الصوتية، عند من يلتزمها، في المعادلة الفونولجية الآتية[1]:



ثانياً: المماثلة في الجهر (والهمس)

يشمل هذا المجال من مجالات حصول المماثلة صورةً نطقية واحدة، اشتملتْ عليها قراءة قرآنية واحدة، هي قراءة «الزراط» بالزاي الخالصة. حيث أثّرت الطاءُ المجهورة في السين المهموسة؛ فأُبدلت الأخيرة زايًا

---

(١) كما هو مقرر مشهور، يشير السهم « ←―――» إلى أن الفونيم الواقع قبله «يتحول»- أو يتحقق- في الألوفون الواقع بعده. ويشير الخط المائل «/ » إلى بداية «السياق» الذي يتحقق فيه هذا التحول. وأما الخط الأفقي « ―――»، فيشير إلى موقع الفونيم المتعرِّض للتحول أو التغيير (هاهنا موقع قبلي). وأما الشكل « { » فيشير إلى «تعدّد» احتمالات السياق المقترن بهذا التحول.

(=نظيرها المجهور)، على ما فسّر أئمتنا حصولَ ذلك. وصَوْغ تفسير تكوُّن تلك الصورة النطقية، في إطار تقسيمات ظاهرة المماثلة الصوتية، في مجال تعديل صفتي الجهر والهمس، ينتهي بنا إلى تقرير ما يأتي:

- أنها مماثلة خلفية (أو استباقية)؛ لحصول التأثير من اللاحق (صوت الطاء المجهور= المؤثِّر) على السابق(صوت السين المهموس= المتأثّر).
- وجزئية؛ لتحول السين إلى زاي؛ فلم تتطابق مع الصوت المؤثِّر (الطاء). بل ماثلتْه في صفة (جزئية) من صفاته (الجهر).
- وتباعدية؛ لوجود فاصل بين السين (الصوت المتأثر) والطاء (الصوت المؤثِّر). وهو فاصل يتألف من (صائت قصير+ صامت + صائت طويل).

وأما الغرض من المماثلة (بكل صورها)، فهو – كما يرى المحدثون– «التقريب بين الصوتين المتجاورين ما أمكن؛ تيسيرًا لعملية النطق، واقتصادًا في الجهد العضلي»[1]. ولا يُعمَد إلى غرض اقتصاد الجهد هذا عمدًا، «بل يحدث دون أن يشعر المتكلم بحدوثه، ودون أن يكون له قَصْدٌ فيه»[2]. وهذا الغرض- أعني تيسير النطق، أو الاقتصاد في الجهد، هو عين ما ذهب إليه أئمتنا في تعليلهم لإبدال السين (المرققة) صادًا (مفخّمة) قبل الأصوات المفخمة: الصاد (الأكثر تفخيمًا)، والقاف والغين (الأقل تفخيمًا). حيث قرروا –على ما سبق تفصيله– أن ذلك كان «ليعمل اللسانُ فيهما [أي في الصاد المبدلة من السين والصوت المفخّم التالي] عملاً واحدًا»؛ أي ليلزم اللسانُ هيئةَ نطق واحدة، هي هيئة التفخيم، فذلك«أسهل وأخفّ»

(١) د. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٨٥، وينظر - كذلك: د. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي بص٣٨٦، وعبد الفتاح إبراهيم: مدخل في الصوتيات ص١٧٧.

(٢) د.، إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٢٥٢.

بدلاً من الانتقال من هيئة الترقيق (= التسفُّل)، في حال النطق بالسين وعدم إبدالها صادًا، إلى هيئة التفخيم (= التصعُّد)، لدى النطق بالصوت المفخم التالي لها، مع ما في ذلك من «تكلُّف وصعوبة»، على حدّ تعبيرهم.

وكذا الشأن في المماثلة في صفة «الجهر»، على نحو قراءة «الزراط»، بإبدال السين المهموسة زايًا مجهورة (خالصة)، يقول العلّامة د. إبراهيم أنيس- رحمه الله: «وكذلك انقلاب المهموس إلى مجهور، لمجاورته لصوت آخر مجهور، هو في الواقع اقتصاد في عملية الانقباض والانبساط في المزمار الذي يفتح مع المهموس، ويضيق مع المجهور؛ ليتذبذب الوتران الصوتيان»[1]. وقد ذكر ابن السرَّاج (ت ٣١٦هـ) أن لِمَن اختار القراءة بالزاي الخالصة أن يقول: «أبدلتُ منها حرفًا مجهورًا حتى يُشبه الطاء في الجهر، ورمت الخفّة»[2].

وأما إبدال السين تاءً، في القراءة (الشاذة): «بربِّ الناتِ»، فلا يبدو أن للمماثلة دورًا في حصوله. والتفسير الصوتي الراجح لذلك هو التقارب المخرجي بين السين والتاء «كما أن كلًّا منهما صوت مهموس، ولم يَبْق إذن إلا أن يلتقي طرفُ اللسان بأصول الثنايا العليا التقاءً محكمًا، به ينحبس النَّفَس، حتى إذا انفصلا انفصالًا مفاجئًا سُمع ذلك الصوت الانفجاري الذي نسميه بالتاء. في حين أنه في حال النطق بالسين نلحظ أن انحباس النَّفَس لا يكون مُحْكَمًا، بل هناك فراغ ضيّق بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ليتسرّب منه الهواء»[3].

---

(١) المصدر السابق ص٢٥٣.

(٢) أبو علي الفارسي: الحجة ١/ ٥٠.

(٣) د. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية ص١٠٥. وكذا: د. أحمد علم الدين الجندي: اللهجات العربية في التراث ٢/ ٣٨٥، ود. رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية ١٥١- ١٥٢.

٢- الإشمام

(إشمام الصاد زايًا)

ذكر ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) أن مصطلح «الإشمام»، في علمي التجويد والقراءات، يُطلق ويراد به التعبير عن إحدى الظواهر الصوتية الثلاث الآتية[1]:

الأولى: وهي تتعلق بإحدى كيفيات الوقف على المرفوع- أو المضموم- عند العرب. يقول ملّا علي القاري (ت ١٠١٤هـ): «الإشمام ... أن تضم شفتيك بعد الإسكان إشارةً إلى الضم، وتترك بينهما بعضَ انفراج؛ ليخرج النَّفَس، فيراهما المخاطب مضمومتين، فيعلم أنك أردتَ بضمهما الإشارة إلى حركة آخر الكلمة الموقوف عليها، فهو شيء يختص بإدراكه العين دون الأذن، لأنه ليس بصوت يُسمَع، وإنما هو تحرُّكُ عضوٍ؛ فلا يدركه الأعمى»[2]. والغرض من هذه الظاهرة الصوتية هو «أن يفرقوا بين ما يلزمه التحريكُ في الوصل، وبين ما يلزمه الإسكانُ على كل حال» على نحو ما

---

(١) ينظر: كتابه: التمهيد في علم التجويد ص٥٨.

(٢) المنح الفكرية (شرح المقدمة الجزرية) ص٧٩- ٨٠. وينظر في تفصيل القول في ظاهرة الإشمام هذه: مكي: الكشف ١/ ١٢٢- ١٢٣، والداني: التحديد في الإتقان ص٢٠٦- ٢٠٧، وعبدالوهاب القرطبي: الموضح في التجويد ص٢٠٨- ٢١٠، وعلم الدين السخاوي: جمال القراء وكمال الإقراء ٢/ ٥٣٢- ٥٣٣، وابن الجزري: النشر ٢/ ١٢١- ١٢٤، وعبدالدائم الأزهري: الطِّرازات المُعْلَمة في شرح المقدمة ص٢٤٢- ٢٤٣، وساجُقْلي زاده: جهد المُقِلّ ص٢٣٤- ٢٣٩، والشيخ محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد ص٢١٨- ٢٢٢. وكل هذه المعالجات مؤسسة على ما قاله سيبويه في «باب الوقف في آخر الكلم» (الكتاب ١/ ١٦٨- ١٧٢).

نص سيبويه (ت ١٨٠هـ)[١]. هذا فضلاً عما في تلك الظاهرة من «بيان حركة الموقوف عليه حالة الوصل باعتبار الأصل»[٢]. وقسيم الإشمام فيما يتعلّق بهذه الظاهرة الصوتية هو «الرَّوْم»[٣].

الثانية: «خَلْط حركة بحركة»[٤]. والمقصود بذلك هو إشمام كسرة الفعل الأجوف المبني للمجهول ضمة[٥]، في ستة أفعال تردّدتْ على هذا النحو في القرآن الكريم[٦] (قيل - غيض - حيل - سيق - سيء - سيئت). وذلك على مذهب من أشمَّ في مثل ذلك[٧]، للدلالة على أن الأصل في هذه الأفعال هو ضمّ فاءاتها، لا كَسْرها[٨].

---

(١) ينظر: الكتاب ١/ ١٦٨ (يلاحظ تكرار «بين»).

(٢) مُلّا علي القاري: المنح الفكرية ص٨١. وينظر كذلك: مكي: الكشف ١/ ١٢٢، وعبدالدائم الأزهري: الطرازات المُعلَمة ص٢٤٢، ومحمد مكي نصر: نهاية القول المفيد ص٢١٩.

(٣) مفهومه: «إضعافك الصوتَ بالحركة، حتى يذهب معظمُ صوتها، فيُسمَع لها صوت خفيّ، يسمعه القريب المصغي دون البعيد؛ لأنها غير تامة» (محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد ص٢١٨). والغرض من «الروم» هو ذات الغرض من «الإشمام»، وإن كان الأول يدركه الكفيف والمبصر، والثاني لا يدركه الكفيف، إلى فروق أخرى (ينظر: الداني: التحديد في الإتقان ص٣٦٩- ٣٧٥، وعبد الوهاب القرطبي : المُوضِح في التجويد ص٢٠٨- ٢١٠، وابن الجزري: النشر ٢/ ١٢٥).

(٤) ابن الجزري: التمهيد ص٨٨.

(٥) ينظر: الداني: التحديد في الإتقان ص٢٠٧، وابن الباذش: الإقناع في القراءات السبع ١/ ٥٣٤.

(٦) ينظر: الإقناع ١/ ٥٣٤.

(٧) ذكر ابن الباذش (الإقناع ١/ ٥٣٤) أن الكسائي (ت ١٨٩هـ) وخَلَف بن هشام (ت٢٢٩هـ) قرآ بالإشمام في الأفعال الستة المذكورة حيث وقعت، وأن ابن ذَكوان (أحد أشهر رواة قراءة ابن عامر/ ت ٢٤٢هـ) أشمّ في (حيل-سيق- سيء/ سيئت) فقط، وأن نافع بن أبي نعيم (ت ١٦٩هـ) أشمّ في (سيء/ سيئت) فقط، وأن غيرهم قد قرأ دونها إشمام. (ينظر كذلك: ابن الجزري: النشر ٢/ ٢٠٨).

(٨) ينظر: الداني: التحديد ص٢٠٧، وابن الباذش: الإقناع ١/ ٥٤٣.

الثالثة: «خَلْط حرفٍ بحرف»[1]. والمقصود بذلك هو إشمام الصاد زايًا في مثل قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[2]. وذلك على قراءة من أشمّ في مثل ذلك، على ما سنتناول بالتفصيل؛ إذ إن هذه الظاهرة الصوتية- دون قرينتيها مما عبِّر عنهما بـ«الإشمام»- هي محلّ اهتمامنا في هذا المبحث.

ويتضح – بعد- قرب هذه المفاهيم الاصطلاحية لـ«الإشمام» من المعنى اللغوي للجذر «ش م م»؛ إذ تدور استعمالات هذا الجذر حول معنى «المقاربة والمداناة»[3]، فيقال – مثلاً[4]:

- تشمَّم الشيءَ واشتمّه: أدناه من أنفه؛ ليجتذب رائحته.
- شامم الرجلَ: قاربه ودنا منه .

ففي الإشمام بالشفتين «مقاربةٌ» للنطق بالضم، وفي إشمام الحركات «تقريبٌ» للكسر من الضم، وفي إشمام الحروف «تقريبٌ» للصاد من الزاي.

وعود إلى إشمام الصاد زايًا، فقد عرض سيبويه (ت ١٨٠هـ) لهذه الصاد التي كالزاي، في حديثه عن عِدّة حروف العربية، فقال- بعد أن ذكر أن عِدّة تلك الحروف تسعةٌ وعشرون حرفًا: «وتكون [أي: حروف العربية] خمسةً وثلاثين حرفًا، بحروف هن فروع، وأصلها من التسعة والعشرين.

---

(١) ابن الجزري: التمهيد ص٥٨- ٥٩.

(٢) سورة النحل ١٦/ ٩.

(٣) ينظر: ابن فارس: المقاييس (ش م م) ٣/ ١٧٥.

(٤) ينظر: اللسان (ش م م) ٤/ ٢٣٣٣- ٢٣٣٤.

وهي كثيرة يُؤخَذ بها، وتُستحسَن في قراءة القرآن والأشعار. وهي: النون الخفيفة [المخفاة]، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي، وألف التفخيم»[1].

وقد تابع سيبويه في عَدِّ تلك الصاد- وأخواتها المذكورة في النص السابق- فروعًا على بعض أحرف العربية جمهرة اللغويين كالزجاجي[2] (ت٣٤٠هـ)، وابن جني[3] (ت ٣٩٢هـ)، وابن عصفور[4] (ت ٦٦٩هـ). وكذا جمهرة علماء التجويد والقراءات، كمكّي بن أبي طالب القيسيّ[5] (ت٤٣٧هـ)، وعبد الوهاب القرطبي[6] (ت ٤٦١هـ)، وابن الجزري[7] (ت٨٣٣هـ)، وغيرهم[8].

وقد تفاوت تعبيرهم عن هذه الصاد الخاصة تفاوتًا مقاربًا، ومن ذلك:

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٢. ويلاحظ أن الشين التي كالجيم، أي تلك التي ينطق بها في نحو: «أشدق»، بإجهار الشين... هذه الشين ليست من الحروف التي يقرأ بها القرآن الكريم (ينظر: مُلّا علي القاري: المنح الفكرية ص١٠).

(٢) ينظر: كتابه: الجمل ص٤٠٩.

(٣) ينظر: كتابه: سر صناعة الإعراب ١/ ٤٦.

(٤) ينظر: كتابه: الممتع ٢/ ٦٦٥.

(٥) ينظر: كتابه: الرعاية لتجويد القراءة ص١٠٩ (ضمن باب عنونه بـ«باب بيان مازادت العرب في كلامها على التسعة والعشرين الحروف المشهورة وعلل ذلك»).

(٦) ينظر: كتابه: الموضح في التجويد ص٨١.

(٧) ينظر: كتابه: التمهيد في علم التجويد ص٩٤.

(٨) ينظر مثلاً: ملّا علي القاري: المنح الفكرية ص١٠، وساجقلي زاده: جهد المقلّ ص٢٧، ومحمد مكي نصر: نهاية القول المفيد ص٢٩.

- الصاد المشمة (زايًا)، أو إشمام الصاد زايًا[1].
- الصاد المشمة رائحة الزاي[2].
- الصاد التي كالزاي[3].
- الصاد بين الصاد والزاي[4].
- الصاد المضارعة للزاي، أو: القراءة بالمضارعة، أو: المضارعة بين الصاد والزاي[5].
- الصاد المُشرَبة أو المخالِطَة[6].

والمراد بهذه التعبيرات المتقاربة - كما يؤكده السماع المتواتر - هو توصيف نطق خاص للصاد يشبه أن يكون زايًا مفخَّمة، على النحو الذي

---

(١) ينظر: ابن مجاهد: السبعة في القراءات ص١٠٦، ١٠٧، وابن خالويه: الحجة ص٦٣، وأبو زرعة: حجة القراءات ص٨٠، والزمخشري: الكشاف١/ ٢٥، وأبو حيان: البحر المحيط ١/ ١٤٣، والسمين الحلبي: الدر المصون ١/ ٦٥، وملّا علي القاري: المنح الفكرية ص١٠.

(٢) ينظر: محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد ص٢٩.

(٣) ينظر: الكتاب ٤/ ٤٣٢، وابن جني: سر الصناعة ١/ ٤٦، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ص٨٣. وابن عصفور: الممتع ٢/ ٦٦٥، والرضي الأستراباذي: شرح الشافية ٣/ ٢٥٤- ٢٥٥.

(٤) ينظر: المبرد: المقتضب ١/ ٣٣٠ (عبارته:الحرف المعترض بين الزاي والصاد)، ومكي: الرعاية ص١٣٠، والكشف ١/ ٣٤.

(٥) ينظر: الكتاب ٤/ ٤٧٧، وأبو علي الفارسيّ: الحجة ١/ ٥٠، ٥٤، وابن عطية :ا لمحرر الوجيز ١/ ١١٩.

(٦) الرعاية ص١٣٠ . ويلاحظ أن مفهوم مكي لمصطلح «الحروف المشربة» مباين لمفهومه عند سيبويه ومن تبعه، كابن جني وابن عصفور وغيرهما (ينظر: الكتاب ٤/ ١٧٤، وسر الصناعة ١/ ٦٣، والممتع ٢/ ٦٧٥).

ننطق به- نحن أهل مصر- صوت الظاء في دارج كلامنا[1]. وبسبب من عدم وجود رمز كتابي لهذا الصوت المراد التعبير عنه، فقد اضطُرّ أئمتنا إلى محاولة تقريبه للفهوم بالتعبيرات السابقة ونحوها. وقد ميَّز أئمتنا القراءة بهذه الصورة النطقية المخصوصة عن القراءة بكل من الصاد والزاي، بقولهم في التعبير عن القراءة بهذين الصوتين: «الصاد الخالصة» و«الزاي الخالصة».

وقد تبيَّن - من خلال استقراء القراءات القرآنية حسب «معجم القراءات»، أن الاستعمالات القرآنية التي أُشمت صاداتها زايًا، ترجع إلى الجذور اللغوية الآتية:

(س ر ط)، (س ط ر)، (ص د ر)، (ص د ع)، (ص د ف)، (ص د ق)، (ص د ي)، (ق ص د). وفي ضوء توجيه أئمتنا لقراءة «الإشمام» في بعض استعمالات هذه الجذور، يمكننا أن نقسمها إلى:

- استعمالات أشمت صاداتها زايًا، لمجاورة الطاء: ويشمل ذلك الجذرين (س ر ط)، (س ط ر).
- استعمالات أشمت صاداتها زايًا، لمجاورة الدال: ويشمل ذلك باقي الجذور المذكورة.

هذا، مع ملاحظة أن أئمتنا قد اعتبروا في الصوتين (الطاء – الدال) صفة صوتية واحدة، هي صفة «الجهر». وهاكم تفصيل ذلك:

---

(١) ينظر: د. عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص١٤٦، ود. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة ص٥١، ود. رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة ص٢٣٥ (عدّه النظير المجهور لصوت الصاد)، ود. البدراوي زهران: في علم الأصوات اللغويةص٢٣٧، ود. الموافي الرفاعي: خصائص لهجتي تميم وقريش ص١١٥.

٢ - أ-استعمالات أُشمت صاداتها زايًا (لمجاورة الطاء)

ويشمل ذلك -كما سبق- استعمالات ترجع إلى الجذرين: «س ر ط» و«س ط ر»:

(س ر ط)

جاء منه استعمال قرآني واحد: «الصراط»، تردّد في خمس وأربعين آية. وقد ورد فيه - كما مرّ في مبحث الإبدال- أربع قراءات: السِّراط، والصِّراط، والزِّراط (بالزاي الخالصة)، والصراط (بالصاد المشمة زايًا). وقد سبق أن تعرضتُ للقراءات الثلاث الأُوَل، في مبحث الإبدال. وبقيتْ قراءة الإشمام.

تعزى قراءة الإشمام هذه، فيما تُعزَى، إلى حمزة بن حبيب الزيَّات (ت١٥٦هـ) في رواية خلف بن هشام (ت ٢٢٩هـ) عنه[١]. وقد وجَّهها أئمتنا بما خلاصته:

- أن الصاد تباين الطاء صوتيًا، من حيث اتصاف الأولى بالهمس، والثانية بالجهر[٢].

---

(١) ينظر: معجم القراءات ١/ ١١، وغير ذلك من المواضع التي تكرر فيها لفظ «الصراط» في القرآن الكريم، عدا مواضع سبق ذكرها في مبحث الإبدال لدى التعرض للفظ «الصراط». ويضاف إلى مصادر «المعجم» في توثيق قراءة الإشمام في هذا اللفظ: أبو علي الفارسي: الحجة ١/ ٥٠، وابن عطية: المحرر الوجيز ١/ ١١٨- ١١٩، والسمين الحلبي: الدر المصون ١/ ١١٨- ١١٩، وابن سوار البغدادي: المستنير في القراءات العشر ٢/ ٩.

(٢) يلاحظ أن قدامانا قد تعاوروا على وصف الطاء بأنها صوت مجهور، في حين أنها في نطقنا المعاصر - وكما يُقرَأ بها القرآن الكريم -صوت مهموس. وهي- على حد وصف ==

- أشمت الصاد زايًا- والزاي صوت مجهور- لتشبه الطاء في جهرها.

يقول ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ): «وأما إمالة الصاد إلى الزاي [=إشمامها إياها]؛ فلأن الصاد- وإن كانت من حروف الإطباق – فهي مهموسة، والطاء مجهورة. فقُلبتْ الصاد إلى حرف مجهور مثلها، مؤاخ للصاد بالصفير، ليكون مجهورًا كالطاء»[1]. ويقول الباقولي (ت ٥٤٣هـ): «وأما من أشمّ الصاد شيئًا من الزاي، فإنه رأى جَهْرَ الطاء وإطباقه، فأخرج صوت الصاد مراعاة للإطباق، وقرَّبها من الزاي مراعاة لجهر الطاء»[2].

وقد احتج أبو عليّ الفارسيّ (ت ٣٧٧هـ)، في تحسينه لقراءة الإشمام هذه، بأن العرب كذا فعلت مع صوت الشين، في مثل كلمة «أَشْدَق»، إذ نطقت به «مضارِعًا» لصوت الزاي؛ ليوافق صوت الدال في صفة الجهر. والشين كالصاد: رخاوةً (أو احتكاكية أو استمرارية) وهمسًا- بل هو معدود، في الدرس الصوتي الحديث، من الأصوات الصفيرية، على ما سبق

== قدامانا- تُعَدّ النظير المفخم لصوت الدال، أي أنها تشبه الضاد المصرية التي يقرأ بها التنزيل العزيز. في حين تُعَدّ الطاء المعاصرة النظير المفخم لصوت التاء. ينظر في تفصيل القول في ذلك: د.إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٦٢- ٦٤، ود. تمام حسان: مناهج البحث في اللغة ص١٢٢-١٢٣، ود. كمال بشر : علم الأصوات ص٢٥٠- ٢٥٣، ود. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة ص٥٣- ود. رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ص٧٥- ٧٨ ود. محمد حسن جبل: المختصر في أصوات اللغة العربية ص١٢٣- ١٢٥، وكانتينو: دروس في أصوات العربية ص٥٠- ٥١.

(١) السبعة في القراءات ص١٠٨.

(٢) كشف المشكلات ١/ ١٦٩. وينظر كذلك: مكي: الكشف ١/ ٣٤، وابن خالويه: الحجة ص٦٣.

بيانه- كما أن الدال كالطاء جهرًا. فلما كانت «المضارعة» (= الإشمام) في «أشدق» حاصلة، كانت في «الصراط»- قياسًا - مستحسنة[1].

وأما أبو بكر (ابن السراج/ ت ٣١٦هـ)، فقد نصّ على أنه يؤثر القراءة بالصاد، وأنه قد عدل عن القراءة بالإشمام «لأنه تكلُّف حرفٍ بين حرفين، وذلك أصعب على اللسان»[2]. قلت: إنما يحصل التكلف – إن حصل- على من ألزم نفسَه بهذه القراءة، وهي ليست من لهجته. وأما من هذه لهجته، فقرأ بها، فلا تكلف عنده. ولا إلزام في القراءة على ما هو معروف مقرَّر .

(س ط ر)

سبق القول في مبحث الإبدال، أنه قد ورد من هذا الجذر اللغوي استعمال قرآني واحد[3]: «مسيطر»، تردّد في آيتين كريمتين، هما:

- ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾[4].

---

(١) الحجة١/ ٥٥. وينظر أصل هذا الكلام في كتاب سيبويه ٤/ ٤٧٩ (باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه). وينظر كذلك: الرضي الأستراباذي: شرح الشافية ٣/ ٢٣٣. ويلاحظ:

- التعبير عن الإشمام بـ«المضارعة». وقد مضى القول في أن ذلك مما عُبِّر به عن هذه الظاهرة الصوتية.
- التعبير عن توصيف إجهار الشين في «أشدق» بأنها ضارعت «الزاي». والمقصود بذلك مايعرف الجيم الشامية التي سبق بيانها في تمهيد البحث.

(٢) أبو على الفارسي: الحجة ١/ ١٥.

(٣) المقصود بهذا الإحصاء هو ما ورد فيه قراءة بالإشمام (أو الإبدال) من استعمالات هذا الجذر- على ما مرَّ التنويه به قبل هذا المبحث الفرعي مباشرة- وإلا فقد وردت منها استعمالات قرآنية أخرى («أساطير»- «مستطر»...).

(٤) سورة الطور٥٢/ ٣٧.

- ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾[1].

كما سبق ذِكْر أنه قد ورد في هذا الاستعمال القرآني ثلاثُ قراءات: «مسيطر» بالسين الخالصة، و«مصيطر» بالصاد الخالصة، و«مصَيطر» بالصاد المشمّة زايًا. وقد سبق الحديث عن القراءتين الأوليين، وبقيت قراءة الإشمام:

تعزى قراءة الإشمام هذه إلى حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ) برواية خلف بن هشام (ت ٢٢٩هـ) عنه[2]. وقد اجتزأ أئمتنا في توجيههم لها في ﴿الْمُصَيْطِرُونَ﴾ و﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ بالإحالة إلى ما ذكروه من توجيه لقراءة لفظ «الصراط» بالإشمام؛ أي أن التوجيه واحد. يقول مكيّ (ت ٤٣٧هـ): «قوله [تعالى]: ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ قرأه هشام بالسين، وهو الأصل، وقرأ حمزة بين الصاد والزاي، وقرأ الباقون بالصاد. وقد تقدم ذِكْرُ هذا وعلَّتِه وحُجّتِه في سورة الحمد وغيرها؛ فأغنى ذلك عن إعادتها»[3]. ويعني هذا أن إشمام الصاد زايًا، في الاستعمالين القرآنيين المذكورين، كان لإحداث تقارب بين الصاد المهموسة والطاء المجهورة. وذلك بإشمام الصاد زايًا- والزاي صوت مجهور- فتُشبه بذلك الطاءَ في صفة الجهر. على ماسبق بيانه من أن هذا هو حاصل توجيه أئمتنا لقراءة الإشمام في لفظ «الصراط».

---

(١) سورة الغاشية ٨٨/ ٢٢.

(٢) ينظر: معجم القراءات ٦/ ٢٦١- ٢٦٢، ٨/ ١٣٢.

(٣) الكشف ٢/ ٣٧٢. وينظر كذلك: ابن خالويه: الحجة ص٣٣٥، والباقولي: كشف المشكلات ٢/ ٣٣٦، والسمين الحلبي: الدر المصون ١٠/ ٧٨.

٢-ب-استعمالات قرآنية أشمت صاداتها زايًا
(لمجاورة الدال)

ويشمل ذلك - كما سبق في صدر هذا المبحث- استعمالات ترجع إلى الجذور الآتية: (ص د ر)، و(ص د ع)، و(ص د ف)، و(ص د ق)، و(ص د ي)، و(ق ص د). وذلك بالتفصيل الآتي:

(ص د ر)

ورد من هذا الجذر اللغوي - مما أُشمت صاده- استعمال قرآني واحد: «يصدر»، تردّد - ثلاثيًّا ورباعيًّا - في آيتين كريمتين، هما:

- ﴿قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[1].
- ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾[2].

(ص د ع)

ورد منه استعمال قرآني واحد: «فاصدع»، تضمنته آية قرآنية واحدة، هي قوله تعالى:

- ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[3].

(ص د ف)

ورد منه استعمال قرآني واحد: «يصدفون». تردّد في آيتين كريمتين، هما:

---

(١) سورة القصص ٢٨/ ٢٣. وينظر: معجم القراءات ٥/ ١٣.

(٢) سورة الزلزلة ٩٩/ ٦. وينظر: معجم القراءات ٨/ ٢١١.

(٣) سورة الحجر ١٥/ ٩٤. وينظر: معجم القراءات ٣/ ٢٦٣.

- ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾[1].
- ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾[2].

(ص د ق)

ورد منه الاستعمالان القرآنيان: «أصدق» و«تصديق». وقد ترددا في أربع آيات: اثنتين لكلٍّ:

- ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[3].
- ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[4].
- ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[5].
- ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[6].

(ص د ي)

ورد منه استعمال قرآني واحد: «تَصْدية»، تضمنته آية كريمة واحدة، هي قوله تعالى:

---

(١) سورة الأنعام ٦/ ٤٦. وينظر: معجم القراءات ٢/ ٢٧٠.

(٢) سورة الأنعام ٦/ ١٥٧. وينظر: معجم القراءات ٢/ ٣٣٦.

(٣) سورة النساء ٤/ ٨٧. وينظر: معجم القراءات ٨/ ١٥٠.

(٤) سورة النساء ٤/ ١٢٢. وينظر: معجم القراءات ٨/ ١٦٥.

(٥) سورة يونس ١٠/ ٣٧. وينظر: معجم القراءات ٣/ ٧٦.

(٦) سورة يوسف ١٢/ ١١١. وينظر: معجم القراءات ٣/ ١٩٩.

- ﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[1].

(ق ص د)

ورد منه استعمال قرآني واحد: «قَصْد»، وانتظمته في آية كريمة واحدة، هي قوله تعالى:

- ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾[2].

وقد ورد في كلٍّ من «صادات» هذه الاستعمالات القرآنية قراءتان[3]:

الأولى: بالصاد الخالصة على الأصل. وهي قراءة عامة القراء.

الثانية: بإشمام الصاد زايًا. وتعزى – فيما تُعزَى – إلى حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ)، والكسائي (ت ١٨٩هـ).

وقد لاحظ أئمتنا أن قراءة الإشمام في الآيات السابقة، ترتبط بسياق صوتي مطرد، هو وجود صاد ساكنة تعقبها دال (يَصْدُر – يُصْدِر – فاصْدَع يَصْدفون – أصْدق – تَصْديق – تصْدية – قَصْد). ويتلخّص توجيههم لهذه القراءة في أن:

---

(١) سورة الأنفال ٨/ ٣٥. وينظر: معجم القراءات ٢/ ٤٤٨.

(٢) سورة النحل ١٦/ ٩. وينظر: معجم القراءات ٣/ ٢٧٠.

(٣) ينظر: معجم القراءات في المواضع السابق ذكرها. وينظر – كذلك: ابن غلبون: التذكرة في القراءات ٢/ ٣٧٧- ٣٧٨، وأبو معشر الطبري: التلخيص في القراءات الثمان ص٢٤٦، وابن الباذش: الإقناع ٢/ ٦٣١، وأبو العلاء الهمذاني: غاية الاختصار ٢/ ٤٦٥، و ابن الجزري: النشر ٢/ ٢٥٠-٢٥١، والبنا الدمياطي: الإتحاف ص١٩٣، حيث تضمن كل منها تعيينًا للقراءتين القرآنيتين المذكورتين، وللقارئين بهما.

- الصاد صوت مهموس،
- والدال صوت مجهور؛
- فأشمت الصاد زايًا –والزاي صوت مجهور– لتقارب بذلك صوتَ الدال، باشتراكهما في صفة «الجهر».

يقول مكيّ (ت ٤٣٧هـ): «قوله [تعالى]: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ قرأه حمزة والكسائي... بين الصاد والزاي؛ لأن الصاد حرفٌ مهموس، وبعدها الدال حرف مجهور، فقُرِّبت الصاد من الدال، بأن خُلط لفظها بالزاي؛ لأنه حرف مجهور، مثل الدال»[1]. والغرض من ذلك هو تحقيق «المجانسة؛ قَصْدَ الخفة»[2].

---

(١) الكشف ١/ ٣٩٤. وينظر كذلك: ابن جني: المنصف ٢/ ٣٢٤- ٣٢٥.

(٢) السمين الحلبي ٣/ ٥٩. وينظر كذلك: مكي: الكشف ١/ ٣٩٤.

٢-ج-تعقيب

يتضمن هذا التعقيب الآتي:

- تعليقًا على توجيه القراءة بالإشمام في «الصراط» و«المصيطرون» و«بمصيطر».
- تعليقًا على إشمام الصاد الساكنة (خاصة) قبل الدال (خاصة).
- المعالجة الصوتية الحديثة لأمثلة الإشمام الواردة بالمبحث.

٢-ج-١- تعليق على توجيه القراءة بالإشمام في «الصراط»، و«المصيطرون» و«بمصيطر»

ذهب أئمتنا في توجيه إشمام الصاد (المهموسة) زايًا (مجهورة)، في قراءة «الصراط»، وكذا في قراءتي «المصيطرون»، و«بمصيطر»، إلى القول بأن ذلك كان بتأثير مجاورة الصاد للطاء (المجهورة)، على ما مرّ تفصيلُه.

قلتُ: لا يبعُد أن يكون إشمام الصاد زايًا، في قراءة «الصراط»، ناجمًا عن مجاورة الراء؛ فالراء مجهورة كالطاء، كما أنها الأقرب موقعًا من الصاد. ولا يبعد – كذلك- أن يكون إشمام الصاد زايًا، في قراءتي «المصيطرون»، و«بمصيطر»، حاصلًا: إما عن مجاورة الميم ، أو عن مجاورة الياء، فكلاهما صوت مجهور، كالطاء. وهما – فضلاً عن ذلك- الأقرب موقعًا من الصاد.

٢-ج-٢- تعليق على إشمام الصاد الساكنة (خاصة) قبل الدال (خاصة)

لاحظ أئمتنا – على ما سبق بيانه- أن إشمام الصاد زايًا، في غير ألفاظ «الصراط» و«المصيطرون» و«بمصيطر»، مرتهنٌ- عند مَنْ أشمّ مِنَ

القرّاء- باجتماع قيدين: كون الصاد ساكنة، وكونها متلوَّةً بصوت الدال. ولي على هذه الملاحظة تعليقان:

الأول: يستفاد من ملاحظة أئمتنا، تلك السابقة، أن وقوع صوت الصاد محرَّكًا، في غير الألفاظ المذكورة، ينفي عنه ظاهرةَ الإشمام، ولو كان متبوعًا بصوت الدال. وقد استقريتُ الاستعمالاتِ القرآنيةَ التي وقع فيها صوتُ الصاد محرَّكًا ومتلوًّا بصوت الدال، ثم تتلَّيتُ هذه الاستعمالاتِ في «معجم القراءات القرآنية»، فوجدتُ تصديق ما لاحظه أئمتنا؛ إذ لم يرد في أيٍّ منها قراءةٌ بالإشمام(١).

فمن الجذر (ص د ر)- وقد أُشم من استعمالاته: «يَصْدر- يُصْدر» - ورد مما تحركتْ صاده: ﴿صَدْرًا﴾(٢)، و﴿صُدُورِكُمْ﴾(٣)، وغيرهما(٤)، ومن

(١) تأسّس هذا الاستقراء على حصر جذور اللغة التي يتوالى فيه صاد ودال، ثم تعيين ما ورد منها في القرآن الكريم، وحصر استعمالات كل منها، ثم مراجعة «معجم القراءات القرآنية» في مظان ورود تلك الاستعمالات ؛ لمعرفة إن كان قد ورد فيها قراءة بالإشمام، أم لم يرد. فأما الجذور، فقد تبين أنها تشمل- مما يبدأ بصاد فدال- ما يلي: (ص د أ)، (ص د ح)، ص د د)، (ص د ر)، (ص د ع)، (ص د غ)، (ص د ف)، (ص د ق)، (ص د ل)، (ص د م)، (ص د ن)، (ص دي)، [ويلحق بها: (ص ي د)]. وتشمل - مما ينتهي بصاد فدال- ما يلي: (أ ص د) (ح ص د)، (ر ص د)، (ع ص د)، (ف ص د)، (ق ص د)، (م ص د)، (و ص د)، [ينظر : د.على حلمي موسى: إحصائيات جذور معجم لسان العرب ص١٢٥، ١٨١ على التوالي]. وأما الجذور التي وردت من تلك في القرآن الكريم، فتشمل: (ص د د)، (ص د ر)، (ص د ع)، (ص د ف)، (ص د ق)، (ص د ي)، (ص ي د). وكذا: (ح ص د)، (ر ص د)، (ق ص د)، (و ص د). وذلك حَسَبَ مراجعتي لـ«المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم».

(٢) النحل ١٦/ ١٠٦.

(٣) آل عمران ٣/ ٢١٩ وغيرها.

(٤) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٤٠٣- ٤٠٤.

الجـذر (ص د ع)- وقـد أُشـمّ مـن اسـتعمالاته: «فاصْـدَع»- ورد: ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾[1]، و﴿مُتَصَدِّعًا﴾[2]، وغيرهما[3]. ومـن الجـذر (ص د ف)- وقـد أُشـمّ مـن اسـتعمالاته: «يـصدفون»- ورد: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾[4]، و﴿الصَّدَفَيْنِ﴾[5]. ومن (ص د ق)- وقد أُشمّ منه: «أصْدق»و«تصديق»- ورد: ﴿صَدَقَ﴾[6]، و﴿صِدْقٍ﴾[7]، وغيرهما كثير[8]. ومن (ص د ي)- وقـد أشمّ من استعمالاته: «تَصْدية»- ورد استعمالٌ ثانٍ لا غيره: ﴿ تَصَدَّى﴾[9]. ومن (ق ص د)- وقد أُشمّ من استعمالاته: «قَصْد»- ورد﴿قَاصِدًا﴾[10]، و﴿مُقْتَصِدٌ﴾[11]وغيرهما[12].

كما وردت الصاد محركة ومتبوعةً بالدال، في استعمالاتِ قرآنية، ترجع إلى جذور لغوية، لم يرد في أي من استعمالاتها قراءةٌ بالإشمام:

---

(١) الروم ٣٠/ ٤٣.

(٢) الحشر ٥٩/ ٢١.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس ص٤٠٤.

(٤) الأنعام ٦/ ١٥٧.

(٥) الكهف ١٨/ ٩٦.

(٦) آل عمران ٣/ ٥٩ وغيرها.

(٧) يونس ١٠/ ٢ وغيرها.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس ص٤٠٤- ٤٠٦.

(٩) عبس ٨٠/ ٦. و ينظر: المعجم المفهرس ص٤٠٦.

(١٠) التوبة ٩/ ٤٢.

(١١) لقمان ٣١/ ٣٢.

(١٢) ينظر: المعجم المفهرس ص٥٤٥.

فمن الجذر (ح ص د) ورد: ﴿حَصَادِهِ﴾[1]، و﴿حَصَدْتُمْ﴾[2]، وغيرهما[3]. ومن (ر ص د) ورد: ﴿إِرْصَادًا﴾[4]، و﴿رَصَدًا﴾[5]، وغيرهما[6]. ومن (ص ي د) ورد: ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾[7]، وغيره[8].

فكل هذه الاستعمالات المذكورة وغيرها مما تحركتْ فيه الصادُ، وأُتبعت بالدال، لم يرد في أيٍّ منها قراءةٌ بالإشمام، تصديقًا لما لاحظه أئمتنا من علماء القراءات.

وقد رصد سيبويه (ت ١٨٠هـ) من قبلُ تلك الملاحظةَ (الفونولوجية)، أعني أن تحرُّك الصاد قبل الدال ينفي عنه الإشمام (أو «المضارعة» بتعبيره)، في كلام من يُشمّونها ساكنة في ذلك السياق، فقال: «فإن تُركتِ الصادُ لم تُبدَل [يقصد: لم تبدل زايًا خالصة] ... ولكنهم قد يضارعون بها [يشمونها] نحو صاد: صَدَقْتْ. والبيان فيها أحسن»[9]. فسيبويه يقرر «أحسنية» النطق بالصاد المتحركة خالصة (= بيانها) قبل

---

(١) الأنعام ٦/ ١٤١.

(٢) يوسف ١٢/ ٤٧.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس ص٢٠٥.

(٤) التوبة ٩/ ١٠٧.

(٥) الجن ٧٢/ ٩، ٢٧.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس ص٣٢١.

(٧) المائدة ٥/ ٩٦.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس ص٤١٧.

(٩) الكتاب ٤/ ٣٧٨. وينظر كذلك: ابن جني: سر الصناعة ١/ ٥١، وابن سيده: المحكم (ف ص د) ٨/ ١٩٤، وابن يعيش: شرح المفصل ١٠/ ٥٣.

الدال. ولعله يشير بذلك إلى أن هذا هو الأفشى في الاستعمال اللغويّ. يدعم ذلك تعبيرُه بالتقليل عن المضارعة بها (إشمامها) في الاستعمال اللغوي («وقد يضارعون بها...»). ويقول الرَّضيّ الأستراباذيّ (ت ٦٨٦هـ): «والإشمام فيها [يقصد في الصاد المتحركة قبل الدال] أقلُّ منه في الساكنة»(١). وقد علّل بعضُ أئمتنا لذلك، بأن حركة صوت الصاد قد صنعتْ حاجزًا حال دون تأثره بالدال، فكأنها بذلك قد «قوّته»، أو «حصّنته»(٢).

التعليق الثاني: تحقُّق مناطُ التوجيه الصوتي لقراءة الإشمام هذه- وهو وقوع صوتٍ مجهور مباشرةً بعد صوت الصاد- في عدد من ألفاظ القرآن الكريم(٣)، وقعتْ فيها الصادُ ساكنةً قبل كلِّ الأصوات المجهورة تقريبًا(٤):

---

(١) شرح الشافية ٣/ ٢٣٢.

(٢) ابن جني: سر الصناعة ١/ ٥١. وينظر- كذلك: أبو علي الفارسي: الحجة ١/ ٥٤، وابن سيده: المحكم (ف ص د) ٨/ ١٩٤، وابن يعيش: شرح المفصل ١٠/ ٥٣، والرضي الأستراباذي: شرح الشافية ٢/ ٢٣٢.
ويلاحظ في العامية المصرية المعاصرة، أن الصاد الساكنة تُشَمّ زايًا قبل بعض الأصوات المجهورة، فإذا تحركت لم تُشَمّ قبل الدال- كما اللهجة الطائية – في نحو: «فلان مَصْدوم» بعكس: «الصَّدْم». وتُشمّ قبل الباء نحو: «تِصْبح على خير» بعكس: «صَبَحْنا وصَبَح الملك لله (سبحانه»، وكذا: «يصْبُر» مقابل: «صَبَرْ». وتُشَمّ قبل الغين في نحو: «أصْغر مني» بعكس: «يِصَغَّر نفسه».

(٣) وذلك على حسب مراجعتي لـ«المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي (برّد الله ثراه).

(٤) الأصوات المجهورة التي لم تقع بعد الصاد هي أصوات الزاي، والضاد، والظاء، والقاف (حَسَبَ وصْف قدامانا لها بالجهر).

فقد وردت الصادُ ساكنةً متبوعة بالباء، كما في ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾[1]، وغيرها[2]. وبالراء، كما في ﴿وَالْعَصْرِ﴾[3]، وغيرها[4]. والعين، كما في ﴿يُصْعَقُونَ﴾[5]، وغيرها[6]. والغين، كما في ﴿وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾[7]، وغيرها[8]. واللام، كما في ﴿فَيُصْلَبُ﴾[9]، وغيرها[10]. والنون، كما في ﴿تَصْنَعُونَ﴾[11] وغيرها[12]. والواو: كما في ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾[13]، وغيرها[14]. والياء، كما في ﴿وَالْعِصْيَانَ﴾[15]. كما وقعت الصاد ساكنة قبل

---

(١) يوسف ١٢/ ٨.

(٢) ينظر: المعجم المفهرس (ص ب ح) ص٣٩٩، و(ص ب ر) ص٣٩٩- ٤٠١، و(ص ب و) ص٤٠١، و(ع ص ب)، ص٤٦٣، و(ن ص ب) ص٧٠١- ٧٠٢.

(٣) العصر ١٠٣/ ١.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس: (ص ر ف) ص٤٠٨، و(ص ر م) ص٤٠٨، و(أ ص ر) ص٣٤، و(ع ص ر) ص٤٦٣، و(ق ص ر) ص٥٤٦)، و(م ص ر) ص٦٦٨، و(ن ص ر) ص٧٠٢- ٧٠٤.

(٥) الطور ٥٢/ ٤٥.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس (ص ع د) ص٤٠٨.

(٧) يونس ١٠/ ٦١.

(٨) ينظر: المعجم المفهرس (ص غ و/ ي) ص٤٠٩.

(٩) يوسف ٥٢/ ١٤.

(١٠) ينظر: المعجم المفهرس (ص ل ح) ٤١٠- ٤١٢، و (ص ل ي) ص٤١٢- ٤١٤، و(أ ص ل) ص٣٤، و(ف ص ل) ص٥٢٠.

(١١) العنكبوت ٢٩/ ٤٥.

(١٢) ينظر: المعجم المفهرس (ص ن م) ص٤١٥.

(١٣) النحل ١٦/ ٨٠.

(١٤) ينظر: المعجم المفهرس (ص و ت) ص٤١٦.

(١٥) الحجرات ٤٩/ ٧.

الطاء (المجهورة) المبدلة من تاء الافتعال، في عدد من الاستعمالات القرآنية، كما في ﴿اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾[1]، وغيرها.

وعلى الرغم من تحقق مناط التوجيه الصوتي لقراءة «الإشمام»، في هذه الألفاظ القرآنية المذكورة وغيرها، لم يرد في أيٍّ منها قراءةٌ بالإشمام، على حسب مراجعتي لـ«معجم القراءات القرآنية». فما معنى ذلك؟ إن هذا يَعني- فيما يَعني - أن الشأن في توجيه هذه القراءة ليس في وقوع صوت مجهور، أيّ صوت مجهور، بعد الصاد الساكنة، وإنما صوت الدال تعيينًا، على ما لاحظ أئمتنا من علماء القراءات. قلتُ: وفي هذا- بَعْدُ- ما يؤكّد أن مرجعيّة هذه القراءة - ككثير غيرها- هو سمة صوتية لهجيّة بعينها[2]، لا تتحقق إلا بوقوع الدال خاصة بعد الصاد الساكنة. وهي سمة تُعزى - فيما تُعزَى - إلى قبيلة طيِّئ، على ما مر بيانه في هذا التعقيب[3].

---

(١) البقرة ٢/ ١٣٢.

(٢) ينظر في ذلك: كتاب د. عبد الوهاب حمودة: القراءات واللهجات، وكتاب د. عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية. وينظر كذلك: د. إبراهيم أنيس:في اللهجات العربية ص٥٣- ٨٠، ود. أحمد علم الدين الجندي: اللهجات العربية في التراث ١/ ١٦٢، ود. عبد الصبور شاهين: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ص٣٠٧- ٣٣٦، ود. عبد الهادي الفضلي: القراءات القرآنية (تاريخ وتعريف) ص٩٥- ٩٦.

(٣) تشتمل المعاجم العربية - فضلاً عن القراءات الواردة هنا - على أمثلة أخرى لهذه الظاهرة الصوتية اللهجية بقيديها المذكورين. ومن ذلك: «الحَزْد» بمعنى «الحصد» [ينظر: (ح ز د) في محكم ابن سيده ٣/ ١٦١، واللسان ٢/ ٨٥٥]، و«المِزْدغة» بمعنى «المِصْدَغة» (=المِخدَّدة) [ينظر: مقاييس ابن فارس ٣/ ٥٠ (باب الزاء والدال وما يثلثهما)، وقولهم: «جاء يضرب أزْدريه» بدلاً من «أصْدريه»: إذا جاء فارغًا [ينظر: (ز د ر) في محكم ابن سيده ٩/ ٢٠، واللسان ٣/ ١٨٢٢، وكذا: المفضل بن سَلَمة: الفاخر ص٢٤٦]، والمثل العربي: «لم يُحرَم من فُزْد له» لمن نال بعض طَلِبته ولم ينلها كلها [ينظر: الزمخشري: المستقصي في أمثال العرب ٢/ ٢٩٤، وتهذيب الأزهري (ف ز د) ١٤/ ١٨٢].

٢-ج-٣- المعالجة الصوتية الحديثة لأمثلة الإشمام الواردة بالمبحث

سبق أن ذكرتُ في التعقيب على مبحث الإبدال ، أن التفسير والتعليل اللذين يقدمهما الدرس الصوتيّ الحديث لحصول الإبدال، في أمثلته القرائية الواردة في مبحث الإبدال، لا يختلف – إجمالاً – عما قدّمه أئمتنا، إلا من حيث الإطار التنظيميّ والمصطلحيّ. وكذا الشأن هاهنا، في ظاهرة الإشمام، في أمثلتها القرائية المعالجة في هذا المبحث. وبيان ذلك كما يأتي:

أولاً: يمكن النظر إلى الصاد المشمَّة زايًا (= الزاي المفخَّمة) على أنها ألوفون (= صورة نطقية) لفونيم الصاد. وآية ذلك عدمُ حصول تغيُّر في المعنى، لدى النطق بهذا الألوفون، بدلاً من فونيم الصاد، في الألفاظ التي حصل فيها ذلك.

والسبب في عدم تغير المعنى هو أن الصاد المشمَّة زايًا تجسِّد هاهنا ما اقترحتُ تسميتَه من قبل[1] بالألوفون المحض، من حيث إنه لا يمثِّل – أو لا يطابق – في أي سياق آخر أحد الفونيمات المستقلة التي تشتمل عليها العربية. وعلى ذلك، فلا مجال – أصلاً – لحصول تغير في المعنى، لدى النطق بهذا الألوفون عوضًا عن فونيم الصاد: لا في السياق الصوتيّ لألفاظ القراءات الواردة هاهنا، ولا في غيره مما يحتمل أن يتحقق فيه هذا الألوفون. وقد أشار ابن السَّراج (ت ٣١٦هـ) إلى هذا المعنى، حين قرّر – في معرض مفاضلاته بين القراءات الأربع للفظ الصراط – أن صوت الصاد المشَمَّ زايًا «ليس بحرف يُبنى عليه الكلم، ولا هو من حروف المعجم»[2]، أي أنه ليس فونيمًا، بالمصطلح الصوتيّ الحديث.

---

(١) ينظر التعقيب على مبحث الإبدال.

(٢) أبو على الفارسي: الحجة ١/ ٥١.

ثانيًا: تمثّل الصورة النطقية التى تحقّق فيها صوت الصاد، في قراءة الإشمام هذه، مسلكًا فونولوجيًا مطّردًا تلتزمه بعض اللهجات العربية:

- فإشمام الصاد زايًا، في لفظ «الصراط» خاصة، قد عُزِي إلى «قيس»[1].
- وإشمام الصاد الساكنة زايًا قبل الدال، قد عُزي إلى قبيلة «طيِّئ»[2].

ثالثًا: يمكن تفسير هذه الصورة النطقية للصاد، في ضوء ظاهرة المماثلة الصوتية[3] assimilation، كما فسِّرت نظيراتها الواردة في مبحث الإبدال: فقد أفضى تجاور صوتين متباينين: أحدهما مهموس (الصاد)، والآخر مجهور (الطاء أو الراء والياء + الدال) إلى تأثر المهموس بالمجهور، وتحوُّله إلى صوت مجهور مثله، على ما قرر قدامانا. وهذا هو مفهوم (عملية) المماثلة، على ما سبق بيانُه في التعقيب على مبحث الإبدال. وقد تميزت المماثلة التي جاءت عليها قراءات «الإشمام»، في هذا المبحث، بأنها:

- خلفية regressive، أو استباقية anticipatory ؛ حيث وقعت الصادُ (الصوت المتأثر) في كل قراءات الإشمام الواردة هنا، سابقةً على

---

(١) ينظر: أبو حيان: البحر المحيط ١/ ١٤٣. وينظر في ذلك أيضًا: د. أحمد علم الدين الجندي: اللهجات العربية في التراث ١/ ٤٤٧- ٤٤٨، ود. عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص١٤٧، ود. سعيد الفواخري: الظواهر اللهجية في تفسير المحرر الوجيز لابن عطية ص٦٥.

(٢) ينظر في تفصيل القول في ذلك: د. رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة ص٢٣٥-٢٣٦، ود. أحمد علم الدين الجندي: اللهجات العربية في التراث ١/ ٤٥٠، ود. صالحة راشد آل غنيم: اللهجات في الكتاب لسيبويه ص٢٤٦- ٢٤٧.

(٣) وينظر: د. رمضان عبد التواب: التطور اللغوي ص٤٥، ٤٧، ود. فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ص٢٣٠- ٢٣٢.

الصوت المؤثِّر؛ فكان اتجاه التأثير من اللاحق صوب السابق: «الصراط»، «المصيطرون»، «بمصيطر»، «يُصْدر»... إلخ. وأما إذا وجَّهْنا جهر الصاد في قراءتي «المصيطرون» و«بمصيطر»، في ضوء مجاورة الميم، على ما قرّرتُ احتماليتَه من قبل، فإن هذه المماثلة تكون حينئذ أمامية **progressive** ، حيث يتجه التأثير من الصوت السابق صوب الصوت اللاحق. وتوصف هذه المماثلة – كذلك- بأنها اجترارية، حيث «يستمر إنتاج صفة – أو صفات- نطقية مميِّزة لصوتٍ ما أثناء نطق صوت – أو أصوات – لاحقة له»[1]. وهذا ما يعني- هاهنا- أن تذبذب الوترين الصوتيين (= الجهر) المصاحب لنطق صوت الميم لا يتوقّف بتجاوز النطق به، بل يستمر، فيخالط صوت الصاد، متسبِّبًا في «إجهاره»، ومُنتجًا ما اصطُلح على تسميته بالصاد المشمة زايًا[2].

- وجزئية **partial**؛ حيث ماثل الصوتُ المتأثر الصوتَ المؤثِّر، في صفة جزئية من صفاته، هي صفة «الجهر». ولم يتطابق معه؛ فتكون المماثلة كليّة.
- وأما من حيث العلاقة الموقعية بين الصوتين: المؤثِّر والمتأثِّر، فقد شملتْ نوعي المماثلة من هذه الحيثية، وهما:

---

(١) عبد الفتاح إبراهيم: مدخل في الصوتيات ص١٦٢.

(٢) وينظر كذلك: د. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة ص٨٦ (في تحليل تكوُّن «ازدهر» من «ازتهر»).

أ- المماثلة التجاورية contiguous ، حيث لا فاصل بين الصوتين المعنيّين. ويشمل هذا كلَّ قراءات الإشمام التي وقع فيها صوتُ الصاد (الصوت المتأثِّر) ساكنًا قبل الدال: «يُصْدر - يَصْدُر»، «فاصْدَع»، «يَصْدفون»، «أصْدق»، «تصْديق»، «تصْدِية»، «قَصْد». ويمكننا تمثيل هذه المماثلة التجاورية، عند من يلتزمها، في المعادلة الفونولوجية الآتية:

ص /ṣ/	[مهموس، استمراري، مفخم، صفيري]	←	زاي مفخمة [ẓ]	[مجهور، استمراري، مفخم، +صفيري]	/ ___	د /d/ [مجهور، وقفي، مرقق، صفيري]

ب- المماثلة التباعدية non-contiguous، حيث يوجد فاصل بين الصوتين المعنيين. ويشمل هذا القسم قراءاتِ الإشمام الباقية كما يأتي:

القراءة	الفاصل
«الصراط»	(المؤثر: الطاء) صائت قصير+ صامت+ صائت طويل
	(أو المؤثر: الراء) صائت قصير
«المصيطرون»	(المؤثر: الطاء) صائت قصير + شبه صائت
	(أو المؤثر: الياء) صائت قصير
«بمصيطر»	(أو المؤثر: الميم) صائت قصير

والغرض من هذه المماثلة هو ذات ما ذُكر في الغرض من المماثلة في قراءة «الزراط» بالزاي الخالصة، وهو التقريب بين الصوتين المتباينين في صفة الجهر والهمس، على ماقرر قدامانا ومحدثونا على حدٍّ سواء[1]. يقول سيبويه (ت ١٨٠هـ)- في تعليله لإشمام الصاد الساكنة زايًا قبل الدال: «وإنما دعاهم أن يُقرّبوها ويبدلوها [يقصد الصاد] أن يكون عملُهم من وجه واحد، وليستعملوا ألسنتَهم في ضرب واحد»[2] أي: في ضرب واحد متجانس من الجهر، بدلاً من الانتقال من مهموس (الصاد)، إلى مجهور (الدال)، خاصة أن الصوتين متقاربان في المخرج».

---

(١) ينظر التعقيب على مبحث الإبدال، في الكلام عن تعليل المماثلة في قراءة «الزراط» بالزاي الخالصة.

(٢) الكتاب ٤/ ٤٧٨.

٣- الخاتمـــة

يمكن إجمال أهم مستخلصات هذا البحث فيما يأتي:

أولاً: يُعَدّ سيبويه (ت ١٨٠هـ) أوّل من وصـف أصـوات الـصاد والـسين والـزاي بأنهـا «حـروف الـصفير»؛ لـشبه جَرْسـها بالـصفير، وعلـوّ إسماعها. فكان – بذلك- صاحب الفـضل في شـقّ المـصطلح، وبيـان مفهومه، وتعيين أصواته. وقد تابعه على ذلك جمهرةُ اللغويين، وعلـماء التجويد والقراءات. كما وافق ذلك تصنيفُ المحدثين لهذه الحزمة مـن الأصوات، وإن أضافوا إليها أصـواتًا احتكاكيـة **fricatives** أخـرى ذات قــدر ملحــوظ مــن الحفيــف، كالــشين /ʃ/ والجـيم الـشامية الاستمرارية /ʒ/ ، وأطلقوا عليها جميعًا مصطلح **sibilant**.

ثانياً: تشترك الأصوات الـصفيرية في مخـرج واحـد تقريبًـا (ممـا بـين طـرف اللسان وفويق الثنايـا)، كـما تتقاسـم معظـمَ الـصفات الـصوتية- أو الملامح التمييزية **distinctive features** -بحيث لا يكاد يُفرِّق بين كلٍّ إلا ملمحٌ واحد، أو اثنان، على الأكثر: فالصاد هي النظـير المفخـم للسين، والـسين هـي النظـير المهمـوس للـزاي، والـزاي هـي النظـير المجهور المرقق للصاد.

ثالثاً: وطَّأ تقارب الأصوات الصفيرية في المخرج، وفي الملامح التمييزية، إلى حلول بعضها محلّ بعض: إبدالًا، و إشمامًا، في سياقات صوتية معينـة، في الكـلام العـربي. ومنــه انـتقلا إلى القـراءات القرآنيـة: أحـد أهـم التجليات الفصيحة لهذا الكلام.

رابعًا: شملتْ صور الإبدال التي عرضتْ للأصوات الصفيرية، في القراءات القرآنية، ما يأتي: (أ) إبدال السين صادًا. (ب) إبدال السين زايًا. (جـ) إبدال السين تاءً. وذلك على ما انتهى إليه استقرائي لـ«معجم القراءات القرآنية» الذي نهض على تصنيفه د. أحمد مختار عمر – رحمه الله– ود. عبد العال سالم مكرم، في ثمانية أجزاء.

خامسًا: كان «إبدال السين صادًا» أوفر صور الإبدال المذكورة أمثلةً، في القراءات القرآنية. وقد وجَّه أئمتنا أمثلته «الصراط»- «الوُصطى»- «يبصُط»- «يصْطُون»- «المصيطرون»- «باصقاتٍ»- «أصبغ»-...) في ضوء مجاورة السين المرققة لأصوات تتميز بصفة «التفخيم»: الكامل (الطاء)، أو النسبيّ (القاف والغين). حيث أفضى ذلك التباين إلى إبدال السين صادًا مفخمة، بتأثير المجاوِر المفخَّم؛ ليحصل «التجانس» في صفة التفخيم، ويلزم اللسانُ وضعيةَ نطقٍ واحدة، بدلاً من الانتقال من وضعية إلى أخرى مباينة لها (ترقيق مع السين، فتفخيم مع الطاء). كما وجَّهوا إبدال السين المهموسة زايًا مجهورة، في قراءة «الزراط»، في ضوء مجاورتها للطاء المجهورة؛ تحقيقًا للمجانسة في صفة «الجهر». وأما إبدال السين تاءً في القراءة الشاذة «بِرَبِّ النَّات»، فقد اكتُفي في توجيهها بالقول بأن هذا الإبدال هو مما تجرى به الألسنة في لغة «قُضَاعة»، مع الاستشهاد على ذلك بشواهد شعرية ونثرية بعينها.

سادسًا: قدَّم البحث احتمالاً آخر لتوجيه إبدال السين صادًا خالصة في قراءة «الصراط»، وزايًا في قراءة «الزراط». وهو أن يكون هذا وذاك – على

ما قرر بعض علمائنا المحدثين- بتأثير مجاورة صوت الراء: من حيث صفة التفخيم فيه في قراءة «الصراط»، ومن حيث صفة الجهر فيه في قراءة «الزراط». وقد دعّم البحثُ هذا الاحتمالَ بأمثلة و«تنبيهات» قال بهما أئمتنا أنفسهم.

سابعًا: تميزت القراءاتُ القرآنية التى أُبدلت فيها السين صادًا، في مجاورة الأصوات المستعلية ذات التفخيم النسبيّ [ق – غ – (خ)] بمجيء هذه الأخيرة، في تلك القراءات، متبوعةً بفتح أو بضم (قصير أو طويل). ويتسق هذا- من حيث التحليل الفونولوجي لذلك الإبدال- مع ما قرره أئمتنا- وكذا الدرس الصوتيّ الحديث- من أن هذه الأصوات إنما تتصف بالتفخيم، وبالتالي القدرة على التأثير في مجاوراتها المرققة (كالسين)، حين تكون مفتوحة أو مضمومة، في المقام الأول.

ثامنًا: شكّك البحث في ورود القراءة الشاذة «ما سلككم في صَقَرَ» بإبدال السين صادًا – بحَسَب مصدر «معجم القراءات القرآنية» في إيرادها. وقد اعتمد هذا التشكيكُ على دراسة نصية توثيقية لمصدر المعجم الوحيد في إيراد هذه القراءة، وهو معجم «تهذيب اللغة» للأزهري (ت ٣٧٠هـ).

تاسعًا: قدّم البحث تفسيرًا لعدم ورود قراءات قرآنية بإبدال السين صادًا، في عدد من الاستعمالات القرآنية، على الرغم من توافر مناط التوجيه الصوتي (واللهجي) المقول به في قراءات أخرى حَصَلَ فيها ذلك الإبدالُ، وهو وقوع السين في مجاورة أحد الأصوات المفخمة (ط – ق – غ – خ). وقد تلخّص هذا التفسير في تحقق عنصر «الاختيار» في

القراءات القرآنية. بمعنى أن قراءات أئمة القراءات المعروفين قد تكوّنت أولاً من قراءتهم وتلقّيهم على عدد كبير من الصحابة والتابعين، ثم ثانيًا بـ«اختيارهم» قراءات معينة مما قرءوا وتلقوا حَسَب اعتبارات رأوها كقوة السند. ونتج عن ذلك أن اجتمعت في قراءاتهم لهجات متعددة بتعدد مصادرهم؛ ولذا لم يلزم أن تطّرد لديهم ظواهر قرائية بعينها، بل ربما يُؤخَذ بها في مواضع، وتُترك في أخرى.

عاشرًا: يوظَّف مصطلح «الإشمام» في علمي التجويد والقراءات، للتعبير عن ثلاث ظواهر صوتية، إحداها: ما عبَّر عنه أئمتنا أحيانًا بـ«إشمام الصاد زايًا». وقد أرادوا بذلك توصيفَ نطقٍ خاصّ للصاد يشبه أن يكون زايًا مفخَّمة، على ما ننطق- نحن أهل مصر- الظاء في دارج كلامنا. ولّما كان هذا الصوت لا يمثِّل فونيمًا من فونيمات العربية، ولم يكن له- تَبَعًا- رمزٌ كتابيّ في نظامها الهجائي، فقد اضطُرّ أئمتنا إلى توصيفه تارة بـ«الصاد المشمَّة زايًا»، وأخرى بـ«الصاد التي كالزاي»، وثالثةً بغيرهما مما عرض له البحث تفصيلًا وتأصيلًا، قاصدين بكلٍّ التنويه بجمع هذا الصوت بين صفة «التفخيم» في الصاد، وصفة «الجهر» في الزاي.

حادي عشر: جاءت الصاد المشمَّة زايًا في القراءات القرآنية، تارة متحركة، وتارةً أخرى ساكنة. فأمّا المتحركة، فقد انتظمتها الاستعمالات القرآنية الآتية: ﴿الصِّرَاطَ﴾ [الفاتحة: ٦]، و﴿الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٧)، و﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]. وأما الساكنة، فقد وقعتْ في الاستعمالات الآتية: ﴿يُصْدِرَ﴾ [القصص: ٢٣]، و﴿يَصْدُرُ﴾

[الزلزلة: ٦]، و﴿فَاصْدَعْ﴾ [الحِجْر: ٩٤]، و﴿يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦، ١٥٧]، و﴿ أَصْدَقُ﴾[النساء: ١٢٢، ٤]، و﴿تَصْدِيقَ﴾ [يونس: ٣٧، يوسف: ١١١]، و﴿تَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]،و﴿قَصْدُ﴾ [النحل: ٩].

ثاني عشر: وجّه أئمتنا إشمام الصاد المتحركة (المهموسة) زايًا (مجهورة) في ضوء مجاورتها للطاء (المجهورة)، والساكنة في ضوء مجاورتها للدال (المجهورة)؛ وذلك لتحقيق «المجانسة» في صفة الجهر.

ثالث عشر: قدَّم البحث احتمالاً آخر يتعلق بتوجيه إشمام الصاد المتحركة زايًا، وهو أن يكون ذلك- في لفظ «الصراط»- بتأثير مجاورة الراء. وفي لفظي «المصيطرون» و«بمصيطر» بتأثير مجاورة الميم أو الياء. فكلٌّ من هذه الأصوات (ر – م – ي) مجهور (كالطاء)، إلى أنها الأقرب موقعًا من الصاد.

رابع عشر: لاحظ أئمتنا من علماء القراءات أن إشمام الصاد زايًا، في غير ألفاظ«الصراط» و«المصيطرون» و«بمصطير» يقع- عند من يقرأ بالإشمام- حين تكون الصاد ساكنةً قبل الدال. وقد تبيَّن بالاستقراء دقّةُ تلك الملاحظة من جهتين: الأولى: انطباقها على ما تم رصده بالفعل من استعمالات قرآنية وردتْ فيها هذه القراءة، حيث تميَّزت جميعها بوقوع الصاد ساكنةً قبل الدال (تلازم في الوقوع). الثانية: استقرى البحث «صادات» القرآن الكريم التي جاءت محركةً ومتبوعةً بالدال، ثم راجعها على «معجم القراءات القرآنية»، فعُثِر على أنْ لم يرد في أيٍّ منها قراءة بالإشمام- وكذا كان الشأن في الصادات

الساكنة التي وردت متبوعة بصوت مجهور غير الدال (تلازم في عدم الوقوع). وقد أكّد هذا أن أساس هذه القراءة سمةٌ لهجية صوتية بعينها،لا تُشَمّ فيها الصاد إلا إذا كانت ساكنة ومتبوعة بالدال خاصة (لهجة طائية).

خامس عشر: يتفق الدرس الصوتيّ الحديث إجمالًا في تفسيره، وتعليله، لإبدال السين صادًا (أو زايًا أو تاءً)، وكذا في إشمام الصاد زايًا، مع ما قرّره أئمتنا في هذا الصدد، ويكاد ينحصر الفرق بين كلٍّ في الإطار التنظيمي والمصطلحيّ.

سادس عشر: أمكن النظر- في ضوء هذا الدرس الصوتيّ الحديث- إلى أصوات الصاد، والزاي، والتاء، التي أُبدلت منها السين (في: «الصراط»،و«الزراط»، و«باصقات»، و«أَصْبَغَ»، و«المصيطرون»، و«الناتِ»...) على أنها تمثل ألوفونات **allophones** (تنوعات أو صورًا نطقية) لفونيم السين. وكذا النظر إلى الصاد المشمّة زايًا (= الزاي المفخمة) قبل الدال (في: «يصْدُرَ»، و«فاصْدَعْ»، و«أصْدَق»...) على أنها تمثّل ألوفونات لصوت الصاد. وقد تأسَّس هذا «النَّظَر» على عدم حصول تغير في المعنى لدى النطق بهذه الألوفونات في تلك القراءات القرآنية. وهذا هو الفرق الأساسي بين النَّظَر إلى صوت ما على أنه فونيم «وحدة صوتية مستقلة»، أو على أنه مجرد ألوفون لفونيم آخر، كما هو مُتعالَم مقرّر في الدرس الصوتيّ الحديث.

سابع عشر: اقترح البحث في هذا الصدد التفريق بين ما يمكن تسميته بـ«الألوفونات المحضة»، مقابل «الألوفونات غير المحضة»، قاصدًا بالأولى: تلك التي لاتمثّل في أيّ سياق صوتيّ آخر فونيمًا مستقلاً من فونيمات اللغة موضع الدرس (كالصاد المشمة زايًا في العربية). وبالثانية: تلك التي تمثّل في سياقات صوتية أخرى فونيمات مستقلة ذات وظيفة بنائية ودلالية في اللغة موضع الدرس (كصاد «الصراط»، وزاي«الزراط»، وتاء«النات»، في العربية).

ثامن عشر: تأسّس تفصيل الحكم بعدم حصول تغيُّر في المعنى، لدى القراءة بهذه الألوفونات على عدة اعتبارات: (أ) أن بعض هذه الألوفونات لا تمثّل في أي سياق صوتي فونيمًا مستقلاً من فونيمات العربية الفصحى (= ألوفونات محضة)؛ وعليه فلا مجال أصلاً لحصول تغير في المعنى لدى القراءة بها، كما هو الشأن في «الصاد المشمة زايًا». (ب) أن بعضًا آخر من هذه الألوفونات- على الرغم من أنه يمثّل في سياقات أخرى فونيمات مستقلة في العربية (= ألوفونات غير محضة)- فإنه لا يصادف في موقعيته بالاستعمالات القرآنية محلِّ القراءات المبدلة، استعمالاتٍ أخرى يلتبس بها دلاليًا؛ لعدم اشتمال العربية أصلاً على جذور لغوية، يمكن ظاهرًا إرجاع تلك الاستعمالات المبدلة إليها. فلا تشتمل العربية -مثلاً- على «و ص ط»؛ حتى يمكن القول باحتمال رجوع قراءة «الوُصْطى» إليها. (جـ) أن ما صادف من تلك الاستعمالات القرآنية محلّ القراءات المبدلة جذورًا تشتمل عليها العربية، ويمكن ظاهرًا إرجاع تلك القراءات إليها، فقد كان المعنى

حاسمًا في منع حصول ذلك. فمثلًا: القراءتان (الشاذتان): «وأصْبَغ عليكم نِعَمه» و«أن اعْمَلْ صابغاتٍ» يمكن ظاهرًا إرجاعهما إلى الجذر «ص ب غ»، إلا أن المعنى المراد قد حال بوضوح دون ذلك، وحسم انتسابهما إلى «س ب غ».

تاسع عشر: أمكن- في ضوء الدرس الصوتيّ الحديث كذلك- توجيه إبدال السين صادًا في مجاورة الأصوات المفخمة، وزايًا في مجاورة الأصوات المجهورة، وكذا إشمام الصاد زايا (بتفصيلاته المذكورة في البحث)، على أنه كان بتأثير (عملية) المماثلة الصوتية **assimilation**، وذلك في مجالين أساسيين من مجالات «عَمَلِها»، وهما: المماثلة في كيفية النطق، والمماثلة في صفة الجهر (أو الهمس). وقد شملت (عملية) المماثلة في أمثلتها القرائية الواردة بالبحث معظم تقسيماتها المعروفة، وخاصة: المماثلة الخلفية **regressive** (أو الاستباقية **anticipatory**): جزئيةً **partial**، ومتصلة **contiguous**، أو منفصلة **non-contiguous** .

مُتمًّا عشرين: جسَّدَتْ بعض الألوفونات في سياقاتها الواردة في القراءات القرآنية، مسلكًا فونولوجيًّا تلتزمه بعض اللهجات العربية. ومن ذلك ما ورد -مثلاً- من أن نطق لفظ «الصراط»- بالصاد الخالصة- هو من لغة «قريش»، وأن «الزراط» من لغة «عُذْرة» وغيرها، وأن الإشمام في هذا اللفظ هو من لغة «قيس»... إلخ. ويعزّز هذا ما تذهب إليه الدراسات القرائية واللهجية من أن اللهجات العربية تمثل أحد أهم روافد القراءات القرآنية، خاصة في جوانبها الأدائية.

المصادر

أولاً: المصادر العربية والمترجمة:

• د. إبراهيم أنيس:

١- الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧١م.

٢- في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو، القاهرة، (الطبعة الخامسة).

٣- من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو، القاهرة،، ١٩٧٨م.

• ابن الأثير: (مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد):

٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق د. محمود الطناحي وطاهر الزاوي، المكتبة الإسلامية (دون تاريخ).

• د. أحمد علم الدين الجندي:

٥- اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٧٨م.

• د. أحمد مختار عمر:

٦- دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠م.

• الأخفش الأوسط (أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدة):

٧- معاني القرآن، تحقيق د. هدى قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

• الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد):

٨- تهذيب اللغة، طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة.

• ابن الباذش (أحمد بن محمد):

٩- الإقناع في القراءات السبع، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

• الباقولي (نور الدين أبو الحسن علي بن الحسين):

١٠- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات، تحقيق د. عبد القادر عبد الرحمن السعدي، دار عمان، عمّان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

• د. البدراوي زهران:

١١- في علم الأصوات اللغوية وعيوب النطق، دار المعارف، مصر، ١٩٩٤م.

• البنا الدمياطي (الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الغني/ ت ١١١٧هـ):

١٢- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، رواه وصححه وعلق عليه الشيخ على محمد الصباغ، دار الندوة الجديدة، بيروت (مصورة عن طبعة مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي بمصر ١٣٥٩هـ).

• د. تمام حسان:

١٣- مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.

• ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد):

١٤- التمهيد في علم التجويد، تحقيق د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٥- غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره برجشتراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٦- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، قرأه بعد طباعته الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، والشيخ أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م (طبعة مصورة).

١٧- النشر في القراءات العشر، تصحيح الشيخ على محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، (دون تاريخ).

• ابن جني(أبو الفتح عثمان):

١٨- الخصائص، تحقيق الشيخ محمد على النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت (الطبعة الثانية).

١٩- سِرّ صناعة الإعراب، تحقيق د. حسن هنداوي ، دار القلم، دمشق، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٠- المحتَسَب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق على النجدي ناصف، ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٢١- المُنْصِف(شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازنيّ)، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

• الجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد):

٢٢- المعرّب تحقيق د. ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

• الجوهري (إسماعيل بن حماد):

٢٣- الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

• ابن حَجَر العَسْقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي):

٢٤- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٠م.

• د. حسام سعيد النعيمي:

٢٥- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٠م.

• أبو حيان الأندلسى (محمد بن يوسف):

٢٦- تفسير البحر المحيط، تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود، والشيخ على محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

• ابن خالَوَيْه (أبو عبد الله الحسين بن أحمد):

٢٧- الحجة في القراءات السبع، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٢٨- مختصر في شواذ القرآن، نَشْر برجشتراسر، مكتبة المتنبي، القاهرة، (دون تاريخ).

• الخليل بن أحمد الفراهيدي:

٢٩- العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد، العراق، ١٩٨١م.

• ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن):

٣٠- جمهرة اللغة، تحقيق د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

- رابين (Chaim Rabin):

٣١- اللهجات العربية القديمة، ترجمة د. عبد الرحمن أيوب، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٦م.

- الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد):

٣٢- مفردات غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م..

- الرَّضِيّ الأستراباذي (محمد بن الحسن):

٣٣- شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

- د. رمضان عبد التواب:

٣٤- بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣٥- التطور اللغويّ: مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣٦- فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣٧- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

- الزَّبيدى (محمد مرتضى):

٣٨- تاج العروس، طبعة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.

• الزَّجّاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِي):
٣٩- معاني القرآن وإعرابه، تحقيق د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
• الزَّجّاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق):
٤٠- الجُمَل في النحو، تحقيق د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
• أبو زَرْعة (عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة):
٤١- حُجّة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
• الشيخ زكريا الأنصاري:
٤٢- شرح المقدمة الجزرية، مطبوع على هامش كتاب المنح الفكرية (شرح المقدمة الجزرية) لُملاّ علي القاري، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.
• الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر):
٤٣- الكشّاف عن حقائق التنزيل، دار المعرفة، بيروت (دون تاريخ).
٤٤- المستقصَي في أمثال العرب، تصحيح محمد عبد الرحمن خان، حيدرآباد الدكن، الهند، ١٩٦٢م.
• أبو زيد الأنصاري (سعيد بن أوس):
٤٥- النوادر في اللغة، تحقيق د. محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

• ساجُقْلي زاده (محمد بن أبي بكر المرعشي):
٤٦- جهد المُقلّ في تجويد القرآن العظيم، تحقيق د. أبو السعود الفخراني، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
• د. سعد مصلوح:
٤٧- دراسة السمع والكلام، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
• سعيد الأفغاني:
٤٨- في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
• د. سعيد الفواخري:
٤٩- الظواهر اللهجية في تفسير المحرَّر الوجيز لابن عطية، رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بالمنصورة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
• ابن السِّكِّيت (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق):
٥٠- الإبدال، تحقيق د. حسين محمد شرف ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
• د. سمير شريف إستيتية:
٥١- الأصوات اللغوية، دار وائل، عمّان، ٢٠٠٢م.
• السَّمين الحلبي (أحمد بن يوسف):
٥٢- الدُّر المَصُون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
• ابن سوار البغدادي (أبو طاهر أحمد بن على):
٥٣- المستنير في القراءات العشر، تحقيق د. عمّار أمين الدّدو، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

• سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر):
٥٤- الكتاب، تحقيق الشيخ عبد السلام هارون، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
• ابن سيده: (أبو الحسن على بن إسماعيل):
٥٥- المُحْكَم والمحيط الأعظم، طبعة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.
٥٦- المخصَّص، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت (دون تاريخ).
• ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله):
٥٧- أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسّان الطيّان، ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
• السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن):
٥٨- الاقتراح في علم أصول النحو، ضبطه وصحّحه وعلّق حواشيه: د.أحمد سليم الحمصي، ود. محمد أحمد قاسم، توزيع منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٨م.
٥٩- هَمْع الهوامع في شرح جَمْع الجوامع ، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
• أبو شامة المقدِسيّ (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل):
٦٠- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تحقيق طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
• د. صالحة راشد آل غنيم:
٦١- اللهجات في الكتاب لسيبويه أصواتًا وبنية، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

• د. صبحي الصالح:

٦٢- دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م.

• أبو الطَّيِّب اللغوي (عبدالواحد بن علي):

٦٣- الإبدال، تحقيق عز الدين التنوخي، المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

• عبد الحليم بن محمد الهادي القابة:

٦٤- القراءات القرآنية (تاريخها، ثبوتها، حجيتها، أحكامها)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٩م.

• عبد الدائم الأزهريّ (ت ٨٧٠هـ)

٦٥- الطِّرازات المُعْلَمة في شرح المقدِّمة، تحقيق د. نزار خورشيد عقراوي، دار عمّار، عمّان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

• د. عبد الصبور شاهين:

٦٦- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

• د. عبد العال سالم مكرم ود. أحمد مختار عمر:

٦٧- معجم القراءات القرآنية، مطبوعات جامعة الكويت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

• د. عبد الغفار حامد هلال:

٦٨- العربية: خصائصها وسماتها، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

• عبد الفتاح إبراهيم:

٦٩- مدخل في الصوتيات، دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠٢م.

• د. عبد الهادي الفضلي:

٧٠- القراءات القرآنية: تاريخ وتعريف، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠م.

• د. عبده الراجحي:

٧١- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م.

• عبد الوهاب حمودة:

٧٢- القراءات واللهجات، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م.

• عبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت ٤٦١هـ):

٧٣- المُوضِح في التجويد، تحقيق د. غانم قَدُّوري الحَمَد، دار عمّار، عمّان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

• ابن عصفور (أبو الحسن على بن مؤمن):

٧٤- المُمْتِع في التصريف، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

• ابن عطية (أبو محمد عبد الحق):

٧٥- المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق الرحالي الفاروق، وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال إبراهيم، ومحمد الشافعي العناني، الدوحة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.

• أبو العلاء الهمذاني العطّار (الحسن بن أحمد بن الحسن):

٧٦- غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار، تحقيق د. أشرف محمد فؤاد طلعت، مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

• عَلَمُ الدين السَّخاوي (على بن محمد):

٧٧- جمال القرّاء وكمال الإقراء، تحقيق د. على حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

• د. على حلمي موسى:

٧٨- إحصائيات جذور معجم لسان العرب (باستخدام الكمبيوتر)، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٢م.

• د. علي حلمي موسى، ود. عبد الصبور شاهين:

٧٩- دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس (باستخدام الكمبيوتر)، مطبوعات جامعة الكويت (دون تاريخ).

• أبو علي الفارسي (الحسن بن عبد الغفار):

٨٠- الحجّة للقرّاء السبعة، تحقيق بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتيّ، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

• أبو علي القالي (إسماعيل بن القاسم):

٨١- الأمالي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

• أبو عمرو الداني (عثمان بن سعيد):

٨٢- التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد، تحقيق د. أحمد عبدالتواب الفيومي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٣م.

• د. غانم قَدُّوري الحَمَد:
٨٣- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالعراق، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
• ابن غَلْبون (أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون):
٨٤- التَّذْكِرة في القراءات، تحقيق د. عبد الفتاح إبراهيم، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
• ابن فارس (أبو الحسين أحمد):
٨٥- الصاحبي، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٧م.
٨٦- مقاييس اللغة، تحقيق الشيخ عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٦هـ.
• الفَرّاء (أبو زكريا يحيى بن زياد):
٨٧- معاني القرآن، تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، والشيخ محمد على النجار، وأحمد يوسف نجاتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.
• د. فوزي الشايب:
٨٨- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث ، إربد (الأردن)، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
• الفَيُّومي (محمد بن على):
٨٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق د. عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، مصر، ١٩٧٧م.

• ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مُسْلِم):

٩٠- تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٧٣م.

• القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري):

٩١- الجامع لأحكام القرآن (= تفسير القرطبي)، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

• كانتينو (جان):

٩٢- دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، الجامعة التونسية ١٩٦٦م.

• د. كريم زكي حسام الدين:

٩٣- أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٣م.

• د. كمال بشر:

٩٤- دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨م.

٩٥- علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.

• برتيل مالمبرج:

٩٦- علم الأصوات، تعريب ودراسة د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٤م.

• المبرِّد (أبو العباس محمد بن يزيد):

٩٧- المقتضب، تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٨٥م .

• ابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى بن العبّاس):

٩٨- السَّبْعة في القراءات، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر (الطبعة الثانية).

• د. محمد حسن جبل:

٩٩- المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

١٠٠- القضية القرآنية الكبرى: حديث نزول القرآن على سبعة أحرف، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

١٠١- المختصر في أصوات اللغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

• د. محمد حسن عبد العزيز:

١٠٢- التعريب في القديم والحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٠٣- مدخل إلى اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م.

• د. محمد خان:

١٠٤- اللهجات العربية والقراءات القرآنية (دراسة في البحر المحيط)، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢م.

• محمد فؤاد عبد الباقي:
١٠٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث الإسلامي (مصور عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م).
• محمد مكّي نصر:
١٠٦- نهاية القول المفيد في علم التجويد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (دون تاريخ).
• د. محمود فهمي حجازي:
١٠٧- مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، ١٩٨٨م.
• أبو مَعْشَر الطَّبري (عبد الكريم بن عبد الصمد ت ٤٧٨هـ):
١٠٨- التلخيص في القراءات الثمان، تحقيق محمد حسن عقيل موسى، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن بجدة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
• المفضَّل بن سَلَمة:
١٠٩- الفاخر، تحقيق عبد العليم الطحاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
• مكّي بن أبي طالب القيسي:
١١٠- الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.
١١١- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار عمّار، عمّان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
١١٢- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق د.محيي الدين رمضان، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

• مُلّا علي القاري (ت ١٠١٤هـ):

١١٣- المِنَح الفكرية (شرح المقدِّمة الجَزَرِيّة)، مكتبة مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

• ابن منظور (جمال الدين محمد بن مُكَرَّم الأنصاري):

١١٤- لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، مصر، ١٩٨١م.

• د. الموافي الرفاعي البيلي:

١١٥- خصائص لهجتي تميم وقريش، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

• ابن يعيش (موفَّق الدين يعيش بن علي بن يعيش):

١١٦- شرح المفصَّل، دار صادر، بيروت (مصوّرة عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة،/ دون تاريخ).

١١٧- شرح الملوكي في التصريف، تحقيق د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

ثانياً: المصادر الأجنبية:

• **Aitchison, Jean (1993):**

118-Linguistyics, Hodder & Stoughtion.

• **Al‹ani, Salman H. (1970):**

119-Arbic Phonology: An Acoustical and Physiological Investigation, Mouton, Netherlands.

- <u>Atkinson, Martin (1989):</u>

120-Foundations of General Linguistics, Unwin Hyman, London.

- <u>Crystal, David (1997):</u>

121-A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Blackwell Publishers, Oxford.

- <u>Davenport, Mik (et al) (2005):</u>

122-Introducing Phonetics and Phonology Oxford, Oxford University Press.

- <u>Finch, Geoffrey (2003):</u>

123-How to Study Linguistics, palgrave Macmillan.

- <u>Ladefoged, peter (1982):</u>

124-A Course in Phonetics, Harcourt Brace Jovanovich, New York.

- <u>Lehmann, Winfred P. (1976):</u>

125-Descriptive Linguistics, Random House, New York.

- <u>Moscati, Sabatino (ed) (1980):</u>

126-An Introudction to the Comparative Linguistics of the Semitic Languages, Otto Harrassowitz, Wiesbaden.

- <u>**Pool, Stuart C. (1999):**</u>

127-An Introduction to Linguistics, Palgrave Macmillan.

- <u>**Roach, Peter (2000):**</u>

128-English Phonetics and Phonology, Cambridge, Cambridge University Press .

- <u>**Yule, George (2001):**</u>

129-The Study of Language, Cambridge, Cambridge University Press.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

[البقرة ٢/ ٢١٧]

الأصوات الصفيرية
في القراءات القرآنية

الأستاذ الدكتور
عبد الكريم محمد حسن جبل

Editions Al-Adab 1923
42 Opera Square - Cairo Tel:(202)23900868
مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨

الأصوات الصفيرية في القراءات القرآنية
أ.د. عبد الكريم محمد حسن جبل
مكتبة الآداب

من إصدارات مكتبة الآداب



ISBN 978 977 468 829 4
9 789774 688294